

محمود وهبة

رأيسة

رواية

الإهداء

إلى أبي، الرجل الذى مهد الطريق فلم أتعثر قط فى وجوده، وزرع الورود فى روحي فأنبتت، ووضع الأساس فى تربيتى فأحسنها، وأضاء الظلام فى عقلي فأناره، أدام الله وجودك وجزاك الله خيرا عني وعن إخوتي.

إلى زوجتي، ارى الكون ضئيلا بجانبك وأرى الحزن بعيدا عن قلبى ما دمت فى قلبك... أدامك الله فى حياتي نبضا وجمعنى بك فى جنته.

إلى إخوتي، لم يخلق الله لى سندا سواكم ولن اقع مادمتم هنا، أدامكم الله سندا و ظهرا.

إلى ابنائي، أفعل كل شيء من أجلكم وسأفعل حتى تنفد أنفاسى وتنتهى ساعاتي.

كلمة شكر

إلى أ / حسام حسين: الداعم الأكبر و الأب ... دائم الجهد والمثابرة والابتكار، شكرا على ثقتك بى وشكرا على كل شيء تفعله من أجلنا.

إلى أ / طارق وافي: الصديق و الأخ الاكبر... أشكرك على كل شيء وأعتز بصداقتك دائما.

إلى أ / محمد عصمت: الصديق الخلوق و الكاتب الموهوب... أشكرك على دعمك الدائم وأعتز دائما بصداقتك، أدام الله الود والأخوة.

المقدمة

نظرت بغل إلى ذلك الجسد الذى يقطر دما من كل صوب وهو فاقد للرأس ثم فتحت باب دارها وخرجت وهى تغلقه خلفها بهدوء ممسكة بكيس من قماش قد صُبغ بلون أحمر قاني، الظلام يحتل قلبها والشيطان يجرى لها مجرى الدم، النار تشتعل بصدرها كرها وحقدا، خطواتها تتسارع فى اتجاه ذلك الجبل المنعزل وهى تدارى سكينا ملطخا بالدماء أسفل ملابسها السوداء حتى لا يلاحظه أهل القرية، نظرت إلى آخر شعاع للشمس وهى تقف أمام مدخل ذلك الكهف المنعزل الذى يفيض منه رائحة الخوف و الفزع والرجس، أخرجت السكين وتحركت بتحفظ إلى الداخل، الكثير من الشعلات موزعة على جانبي الممر الممتد إلى باطن الكهف ذي السقف المنخفض، أفزعها خيالها الذى يتراقص مع كل حركة للنيران من حولها، أصوات شيطانية تأتى من قريب وبعيد تبث بروحها الذعر والوجل، توقفت وهى تزيح ستار أحمر ثقيل يؤدى إلى مكان تمقته بشدة فهنا عانقت الشيطان للمرة الأولى، ألقت نظرة إلى ذلك الجسد الأسود العاري الذى ينام وهو يتنفس ببطء، أحكمت قبضتها على السكين وانقضت فوق صاحب ذلك الجسد طاعنة إياه العديد من الطعنات ولم تتوقف إلا بعد أن فارق ذلك الرجل ضخم الجسد الحياة ثم

قطعت رأسه بقسوة ووضعتها داخل كيس من قماش ومعه السكين بجانب الرأس الاولى، أسرعت فى البحث عن شيء ما داخل الكهف ثم ابتسمت والدماء تغطى وجهها عندما وجدت ضالتها، أغمضت عينيها وهى تنظر إلى أعلى ثم تغيرت ملامح وجهها من الجمال إلى القبح، وقفت وأمسكت بالكيس وخرجت من الكهف مسرعة.

اتجهت إلى الصحراء الشاسعة تبحث عن مكان مناسب لإخفاء جُرمها، وجدت رقعة مناسبة ثم جلست أرضا وهى تحفر بعُجالة، أمسكت الكيس وألقت السكين ورأس الرجل الأول ثم رأس ذلك الرجل الاسود داخل الحفرة ثم بصقت على تلك الرؤوس وأخذت تردم فوقهم وهى تتمتم ببعض الكلمات الغريبة، انتهت سريعا ثم عادت فى طريقها إلى الكهف وهى تتحدث وتحرك أصابعها على ذلك الشيء الذى ترتديه بنشوة المنتصر.

خلف إحدى الصخور كان هناك من يراقبها وظل يتتبعها حتى وصلت إلى مدخل الكهف ثم تبعها إلى الداخل، أشعلت نارا عظيمة وألقت الجسد الأسود بداخلها، صوتها يرتفع ببعض الكلمات الغريبة وهى ممسكة بطائر ما ذبحته فوق الجثمان المحترق، سمعت صوت شهقة، نظرت إلى مصدره بخوف ثم هرولت إلى الخارج خلف من كان يراقبها.

الباب الاول

بوابة جديدة تفتح

(1)

القتل يقود إلى الكثير منه حتى يصبح عادة محببة لا فرار منها وشهوة ملحة يجب إرضائها، هكذا يحدث فى كل مرة يبدأ فيها أحدهم بسفك الدماء.

***

تأففت كثيرا وهى تحاول تجنب الرد على المتصل، لاحظ ذلك الأمر موسى وابتسم وهو يقول : أعتقد أنه حسنين الجمال مرة اخرى، ألن تريحى قلبه؟

ظهرت معالم الغضب جلية على وجه زينب ثم أغلقت هاتفها وهى تقول: أنت تعلم جيدا يا موسى مدى كرهي له، أنا لا أطيق حتى النظر إلى صورته.

أنهت كلماتها و هى تلملم شعرها وتضعة مترابطا خلف رأسها وهى مازالت ممسكة به ثم وقفت واتجهت إلى زاوية الحجرة وأخذت تبحث داخل حقيبة يدها عن شيء ما لربط شعرها كما تريد.

اعتدل موسى فى جلسته وهو يقول: لكننا مازلنا نحتاج اليه، نحن لا نعلم متى يحدث ذلك الأمر من جديد، تلك البوابات التى تنفتح من تلقاء نفسها ويخرج إلينا من خلالها روح أحدهم لتنتهك حياتنا وتحيلها إلى جزء من الجحيم.

دخل رأفت إلى الغرفة بعد أن أنهى جولته داخل المطعم ومتابعة طريقة سير العمل، اتجه إلى التلفاز وهو يقول: هل حان وقت فيلم آخر مرعب؟

ابتسمت زينب بعد أن وجدت رابطة الشعر ثم جلست بين الإثنين وهى تقول: فيلم رعب جديد؟

نظر إلها رافت متحمسا وهو يقول: نعم إنه الفيلم الذى أحدث ضجة وماتت على إثره ثلاثة نساء أثناء مشاهدتهم له فى إحدى قاعات السينما.

اغلق موسى الإضاءة ثم عاد ليجلس وهو يقول: لنبدأ الفيلم انا أشتاق لجرعة رعب جديدة.

ضغط رأفت زر التشغيل لتبدأ أحداث الفيلم سريعا وتظهر سيدة تهرول خلف فتاة صغيرة فى الغابة أثناء الليل، الطفلة تبكى ولا تعلم أين تذهب بينما تلك السيدة مازالت تبحث عنها وهى ممسكة بسكين يقطر دما، جلست الطفلة أرضا خلف شجرة كبيرة وبدأت فى البكاء وهى تحاول منع صوتها

من أن يرتفع فيفضح مكانها، اقتربت الكاميرا من وجه السيدة وهى تقترب من الفتاة فى هدوء ثم انقضت عليها وبدأت فى ذبحها بقسوة.

صرخت زينب عندما أضاء موسى النور وبدى عليه عدم الاتزان والخوف وهو مازال ينظر إلى تلك السيدة التى احتلت صورتها الشاشة بعد ان ضغط رأفت زر الإيقاف المؤقت.

لم يتحدث موسى ولم يتحرك من مكانه، ظل متجمدا فى مكانه مثلة مثل التمثال المنحوت حديثا، نظر رافت إلى زينب بعدم استيعاب فاشارت له زينب ان ينتظر، دقائق مرت بعدها سأل رأفت موسى: ما الذى حدث ؟ لما اضأت الغرفة وجعلتنا نخرج من شعور التشويق.

لم يتحدث موسى وظل يرمق تلك السيدة بخوف وهناك عرق ينساب على وجهه، وقف رأفت بصعوبة بالغة بسبب وزنه الذى يتزايد مع مرور الأيام وهو يقول: ما الذى يحدث؟

أشار موسى إلى تلك السيدة وهو يقول: هناك باب آخر قد فتح، أنا أعلم ذلك يقينا، وهناك روح لسيدة عبرت منه الآن، رأيتها على شاكلة الشيطان، تحمل سكينا يقطر دما وعدة رؤوس وضعتهم داخل قطعة قماش تسيل منها الدماء، عبرت إلى عالمنا بحثا عن شيئا ما فقدته قبل رحيلها.

جسد زينب ينتفض بشدة، انتزعت جهاز التحكم من يد رافت وأغلقت التلفاز وهى تقول لموسى: هل أنت متأكد مما رأيته؟

نظر لها موسى فى قلق وقال: أعتقد ذلك، أنا أرى الأشياء من دون إرادة مني، إنها تسعى إلى قتل المزيد والبحث عما فقدته، إنها تصرخ بشدة وتشعر بغضب عارم.

اقترب رأفت من الإثنين وهو يقول: وما الذى فقدته؟

نظر موسى إلى رأفت بفزع وقال: لا أعلم، لم أر سوى كهف وسكين ووجهها الشيطانى.

نظر الإثنان إلى بعضهما البعض فى رهبة وفزع ثم أصدرت زينب صرخة مرتفعة عندما عاد التلفاز إلى العمل من تلقاء نفسه وصدر منه صوت ضحكة مرتفعة لتلك السيدة بعد أن قتلت الطفلة.

أغلق رأفت التلفاز من جديد ونظر الثلاثة إلى بعضهم البعض وقالت زينب: يجب أن نذهب إلى روحية.

وقف الثلاثة واتجهوا مسرعين إلى باب الخروج وهم يشعرون بخطر أصبح قريب للغاية، هناك باب من الجحيم قد فُتح من جديد وعبرت من خلالة شيطانة تبحث عن

شيء ما يعود إليها وإن وجدته هلكوا جميعا.

***

بعد ثلاثة أيام وفى صباح اليوم الثالث اجتمع الثلاثة بمحطة قطار مصر فى انتظار القطار الذى سيحملهم إلى القرية التى استقرت بها روحية والتي أرسلت لهم العنوان لزيارتها إذا لزم الأمر، صعدوا إلى القطار وتوجهوا إلى تلك المركز ثم استقلوا سيارة أجرة تقودهم إلى القرية آملين أن يجدوا عندها الإجابة، مرت عدة ساعات ووصلوا إلى تلك القرية بعد عناء السفر، تحركوا بهدوء وتروي حتى لا يلحظ أحد وجودهم، تحركوا إلى منزل روحية حسب العنوان المكتوب فى ورقة دون بها رأفت العنوان، طرق موسى الباب ولكن لم يجيبهم احد، شعروا بالقلق، قالت زينب: لعله ليس العنوان الصحيح، نظر رأفت إلى الورقة ثم عاد بنظره إلى الرقم المكتوب بخط طباشيرى على المنزل فوجده مطابق فقال: لا، إنه المنزل الصحيح أنا أشعر بأمر ما مريب.

دفع رأفت الباب بكتفه ليفتح على مصراعيه، بحثوا بالداخل ولم يجدوا أحدا، شعروا ان هناك أمر ما أصابها.

جلس موسى أرضا وقال: أخشى أن يكون هناك ضرر ما أصابها لقد مر وقت طويل منذ أن تواصلنا معها أو رأيناها.

نظرت إليه زينب وقالت: لا أعتقد ذلك يا موسى فهى تمتلك حسا قويا وبصيرة نافذة، يبدو أنها ذهبت لقضاء أمر ما ثم تعود.

تحرك رأفت في اتجاه الشارع وقال يجب أن نسأل عنها أهل القرية، بالتأكيد هناك من يعلم ما حدث لها أو إلى أين ذهبت.

تلك القرية تبدو وكأنها مرت بالكثير، الكل يتلاشى الجميع، هائمون كمن بعث من بعد موته فاقدا للذاكرة وفاقدا للمشاعر، ألسنتهم لا تتجاذب الحديث، صمت مُقلق، نظرات لا تحيد عن الطريق حتى أعينهم لا تتلاقى، وكأن السماء أُطبقت عليهم وعادت إلى علوها من جديد، صعقة ما أصابتهم أو لعنة سوداء حلت عليهم.

كلما سألوا أحد عن روحية تركهم من دون رد أو حتى إيماءة واحدة، الكبار والصغار حتى المسنين لا يتحدثون، كلما طرقوا الباب لم يفتح لهم من بالداخل، الخوف فى اعين الجميع، اقترب احد الغفر وكأنه الوحيد على قيد الحياة قائلا...

_عن من تبحثون، غير مرحب بكم هنا أيها الأغراب، لدينا عادتنا وتقاليدنا التى تسرى على الجميع وعلى القريب قبل الغريب، لن يجيبكم، يجب أن ترحلوا.

حاولت زينب تلطيف الجو العام وتغيير رأى ذلك الرجل الصلب فقالت:

إنها مسألة حياة أو موت، نحن نبحث عن سيدة كبيرة السن تدعى روحية.

اتسعت عينا الرجل وعدل من وضعية سلاحه ووضعه فى اتجاههم وقال:

لم تسألون عن روحية؟ أنتم صحافة؟ لما حضرتم إلى القرية فى ذلك الوقت؟ من اتصل بكم وأفشى بسرنا؟

وقف رأفت أمامه ووضع زينب خلفه وقال:

لسنا صحافة، إننا نمر بأمر مأسوي فى عائلتنا ونحتاج إلى رأى الست روحية، نعلم أنها تساعد الناس وتعطيهم وصفات للعلاج هى تعرفنا جيدا، أهكذا تفعلون بضيوفكم.

أخفض الرجل بندقيته بعد أن أحس بالحرج وقال نعم هذا صحيح، الست روحية تساعد الجميع منذ أن أتت إلى هنا، لكنها اختفت منذ ثلاثة أيام وآخر من رأها قال إنها اتجهت إلى ذلك الجبل ثم أشار إلى جبل شاهق يطل عاليا يسد الافق.

اقترب موسى ببطيء وقال ذهبت وحدها؟ متى ستعود؟.

صمت الغفير للحظات ثم قال لا أعلم أيها الغريب، لكن يمكننى استضافتكم حتى عودتها، هى لن تتأخر كثيرا، ضيوف الست روحية ضيوفى.

أشار لهم أن يتبعوه فنظروا إلى بعضهم البعض وساروا خلفه والجميع يترقبهم بنظرات خوف وسمعوا همسات الناس وهم يقولون: يجب أن يغادروا على الفور كما حضروا.

التفت إليهم الغفير وقال لا عليكم، أهل القرية يخافون الأغراب، أنتم لا تدرون ما الذى حدث هنا من قبل وعلى مر السنين، إنها أشياء يشيب لها العقل، سأحكى لكم فى الدار بعد ان تستريحوا وتأكلوا.

***

دار واسعة مبنية على مساحة أرض شاسعة و سقف مرتفع للغاية، قطع من الأثاثات متناثرة هنا وهناك من دون هدى أو تنظيم لكنها لا توحى أيضا بالعشوائية، معادلة بدائية جميلة لكنها غريبة للغاية، ارتدى موسى جلباب احضره له الغفير الذى بدى كريما للغاية مع الثلاثة، بينما لم يجد مقاس رأفت الذى ظل بملابسه طيلة الليل، بينما زينب ارتدت ملابس تخص زوجة الغفير الذي علموا أنه يدعى عمران.

اجتمعوا على الطعام وجلس الثلاثة وبجوارهم عمران

وزوجته والتف الأطفال حولهم، طعام يكفى الجميع بمذاق القرية الفاخر واللذيذ، أكلوا حتى امتلئت بطونهم ثم احتسوا الشاى الذى أعده عمران لهم على الفحم.

خلد الأطفال إلى النوم برفقة الأم وجلس عمران يحكى لهم عن حال القرية الذى لا يسر حبيب ولا غريب، لعنة أصابتهم طيلة قرن مضى، ولم يعد الحال إلى ما هو عليه حتى وقت قريب قارب على الثلاثين عاما، جيل نقل حمل كبير إلى جيل جديد لم يعلم شيء عن اللعنة سوى حكايات من الأجداد، وعندما ظن الجميع أن اللعنة قد انتهت عادت منذ ايام إليهم من جديد.

شعرت زينب بالخوف وقالت وما هى هذة اللعنة يا عمران؟

رشف عمران من كوب الشاى الساخن الذى يمسك به غير عابئ بحرارته وقال لعنة رئيسة.

فور أن قال ذلك الإسم شعر موسى أن هناك امراة تقف فى الظلام وتنظر إلهم، لا يظهر منها سوى يدها الموشومة التي تمسك برؤوس كثيرة تقطر منها الدماء و يدها الأخرى الفارغة سوى من خاتم غريب الشكل.

لاحظ الجميع ملامح الخوف على وجه موسى فسأله رأفت قائلا إلى ماذا تنظر يا موسى؟

اعتدل عمران فى جلسته بقلق وقال ما الذى تنظر إليه؟ أخبرنى؟ وقف موسى وقال امرأة تقف فى الظلام، يد موشومة تحمل الرؤوس المقطعة و يد اخرى بها خاتم أسود.

قفز عمران خوفا كمن مُس من شيطان وهو يقول الله الحفيظ، الله المغيث هرول إلى إحدى الغرف وعاد بعدة أحجبه، أعطى لكل واحد منهم حجاب وهو يقول رئيسة، اللعنة عادت إلى القرية من جديد، من رأيتها رئيسة تبحث عن ضحيتها الجديدة.

فور أن أنهى كلماته لم يعد موسى يرى أحد، اقتربت زينب منه وقالت أمازلت تراها يا موسى.

مسح موسى العرق من على جبينه وشرب بعضا من الماء وقال لا لقد رحلت، كانت تنظر إلينا من داخل الظلام بغضب وكأنها تطاردنا عن عمد.

ارتعد الجميع بعد أن فتح باب الدار فجأة، صرخت زينب وهرولت محتمية برأفت الذى حاول التماسك بينما عمران ظل يقفز ويهبط أرضا كمن يقف على جمر وهو يقول احفظ يا رب، بسم الله الحفيظ ثم هدأ بعد أن رأى الست روحية تتقدم إلى الداخل وهى ترتدى ملابسها المميزة البسيطة، نظارة شمسية على عينيها تغطى معظم وجهها الذى يظهر بين الحين والاخر بشال قديم وتمسك بيدها عصا نحيفة لا

تفارقها أبدا ما إن تجلس أرضا حتى تظل تعبث بها فى ثرى الأرض وهى تتحدث.

تهللت أسارير الجميع فور رؤيتهم وكأن السماء أرسلت إليهم ملاك لينجدهم من شيطان رئيسة التى عادت من الموت بعد فترة طويلة.

جلست روحية أرضا متربعة تعبث بالعصاية الصغيرة فى الأرض كعادتها وجلسوا أمامها جميعا كتلاميذ يستقون منها العلم، علم الماورائيات، كانت صامتة لا تتحدث أبدا وكأنها فى عالم آخر غير ذلك العالم الذى نحيا به، حركة يديها أصابت زينب بالانزعاج فوقفت مبتعدة عنهم وجلست بجانب شباك صغير يطل على أرض شاسعة سوداء منقطة ببعض الإضاءات المتفرقة هنا وهناك، لوحة كئيبة تبعث الخوف والفزع فى قلوبهم جميعا.

وقفت روحية فجأة وتحركت باتجاه ذلك الشباك وقالت لزينب أغلقى ذلك الشباك فى الحال، إنها تطل علينا منه، ما يمنعها عنا الآن ذلك الشيء الذى فقدته فى الماضى عندما... ثم صمتت.

قال رأفت كيف رحلت يا ست روحية، نريد أن نعلم؟

أصاب روحية الدوار فجأة فجلست بعد أن ساعدها فى

ذلك موسى ورأفت اللذين هرولا فى اتجاهها فور رؤية اختلال توازنها وقبل أن تذهب فى نوم من دون مقدمات قالت هناك ما يمنع رؤيتى، كيان ما يقف حائطا بينى وبينها، كيان أرشدها إلى بوابة الجحيم وساعد فى عبورها إلى عالمنا مرة اخرى.

***

فى صباح اليوم التإلى آفاق الجميع على صوت صراخ روحية وهى ترتعش بشدة وتنطق بإسم رئيسة، حاول رأفت تهدأتها بينما هرول عمران وأحضر لها كوبا من الماء، هدأت نسبيا بعد أن رشفت كوب الماء، اقترب منها موسى وهو يقول أهى رئيسة ؟ تحاول مهاجمتك؟

قالت روحية بصوت ضعيف نعم وأظنك رأيت ذلك، أوما موسى برأسه وقال رأيت جزء منه، هى تعلم انك تراقبين كل شيء، هى تحاول إخفاء أمر ما عنك.

ظهرت عليها معالم الإعياء الشديد بالإضافة إلى سنها الكبير، إنها تتعرض لما يفوق قدراتها، لكنها هى من اختارت أن تحضر إلى تلك القرية قبل فترة قليلة من دون أن تذكر سبب ذلك، سألها رأفت بهدوء انتى قررتى الانتقال إلى هنا منذ وقت قريب، هل كان لهذا السبب ؟ هل كنتى تعلمى بالامر؟

وجهت رأسها فى اتجاه رافت وكأنها تراه ثم قالت بهدوء مقلق أنا أرى أشياء أعجز عن تفسيرها منذ زمن طويل لكن منذ ان التقيتكم أصبحت أرى بوضوح أكثر، أعلم أين ستفتح البوابة القادمة، أشعر بذلك داخل أحشائي، لذلك أتيت إلى هنا، إلى تلك القرية التى لعنت منذ قرن وعادت إليهم اللعنة من جديد، ما أصابنى فى الماضى كان محنة وأعطيت بجانبها منحة البصيرة، هكذا هو الكون مرتب ومنظم بدقة وهكذا هو القدر لديه الكثير من المفاجآت لنا دائما ولكل منا دوره، أنهت تلك الكلمات ثم اصابها السعال الشديد.

وضعت زينب يدها على كتف روحية فى محاولة منها لتهدئتها وهى تقول يجب أن تهدأى الان، انتى مرهقة للغاية.

هدأ السعال قليلا فأكلمت روحية كلامها قائلة لسبب ما لا اعلمه انا عاجزة للغاية امام رئيسة، إنها ليست بمفردها، هناك من احضرها مرة اخرى وأرشدها إلى البوابة، لا أعلم اهو إنسان او شيء آخر، لكنه موجود هنا على ذلك الطرف الخاص بنا وقام بجلبها من الطرف الاخر بكل شرورها و كرهها الشديد للجميع، يجب أن تكملوا البحث عنها ومعرفة كل ما يتعلق بها بمفردكم، انا الآن فى وضع ضعف شديد، أريدكم أن تسرعوا فى حل ذلك الامر قبل أن تحل اللعنة ولا نستيطع رفعها عن تلك القرية، أنتم لا تعلمون مدى شرها

وآذاها، هى شيطان حقا.

علم الثلاثة أنه لا مبرر لوجودهم هنا الآن، لقد ألقى على عاتقهم أمر تلك البوابات التى تفتح من قبل الجحيم من دون سبب معلوم، خطأهم الاول مازالوا يدفعون ثمنه حتى الآن، هناك أمر ما خاطئ يحدث معهم تحديدا، على كل حال هم راضون تماما بقدرهم ولا سبيل للتراجع الآن لكن لا بأس ببعض الخوف والفزع والفرار أيضا إذا اقتضى الأمر لكن رأفت سيكون آخر من يفر بسبب وزنه بالتأكيد.

قبل أن يحل الليل استقل الثلاثة سيارة تأخذهم إلى المركز حيث محطة القطار سيقلهم إلى القاهرة فى الصباح إذا حالفهم الحظ ولم يكن هناك عطل جسيم فى القطار أو القضيب كما هو الحال دائما وأبدا.

(2)

نيران تأكل جدران القلب الضال، نيران تأكل الجسد الرجس، نيران تأكل العمل المحرم والسفلي، نيران تطول الجميع، نيران تحرق أول الصانعين وآخر المذنبين.

***

لم يطيقوا الجلوس داخل تلك الغرفة التى يفضلونها عن سائر أماكن الكون وهم يعلمون أن هناك باب مازال مفتوحا من العالم الآخر، لعنوا بداخلهم فضولهم الذى قادهم إلى ذلك الطريق، شغفهم بالماورائيات الذي لم يقصدوا به أذية الغير، الفضول مع عدم المعرفة يولد كارثة دائما.

جلست زينب تداعب خصلات شعرها فى توتر وهى تتذكر كلمات روحية وهى تتحدث عن رئيسة وقد نعتتها بأنها شيطانة قد تحرق الجميع جراء ما تحمله من غل وحقد للجميع وخاصة أهل تلك القرية بينما وقف رأفت يقلب فى مكتبة الافلام على غير هدى وهو شارد التفكير وجائع للغاية، وهناك أمام ذلك الجدار الذى اخترقه جسد أحد تلك الارواح فى بادئ الامرعند تحضيره بالخطأ كان يقف موسى محدقا وهو يتذكر ذلك الكيان الذى كان متجسدا فى شخص يدعى رئيسة، شعر بالخوف داخل أحشائه وعلم أنه على وشك أن

يراها من جديد، على وشك أن يحدث معه ذلك الأمر مرة أخرى، فقد اتزانه ووقع أرضا وهو يضع يده أمام وجهه فى خوف بينما مر جسد من ذلك الجدار فجأة وصاح بوجهه وعاد إلى الجدار من جديد.

لم يتحدث أيا من الثلاثة بعدما رأوه، أكانت تلك رئيسة؟ قالتها زينب وهى تستند بظهرها على حائط ما قريب، ساعد رأفت موسى فى الوقوف ثم قال علينا ان نعود إلى منازلنا، هى تتبعنا فى كل مكان، احرصوا على أن تغلقوا الأبواب والنوافذ وألا تظلوا وحيدين لفترات طويلة، نحن لا نعلم قدراتها، لكنها مازالت محدودة ويبدو أنها تبحث عن شيء تعتقد أنه معنا وإن حصلت على ذلك الشيء ستكون نهايتنا جميعا، علينا ان نعلم ما هو قبل فوات الآوان.

حملت زينب حقيبتها وغادرت مسرعة وتتبعها رأفت بينما ظل موسى واقفا فى مكانه يفكر بشيء ما.

***

وقف حسنين يعد فنجانين القهوة المعتادين له ولزميله الوحيد بالعمل حلمى على نيران السبرتاية التى لا تكاد تثمن و لا تغني، دائما ما تستغرق وقت طويل لإتمام مهامها الشاقة طوال اليوم، كانت نغمات أغنية أمل حياتى لأم كلثوم تتهادى بتروٍ على مسامعهم لتضفى جو من الهدوء الإضافي

المصاحب للشجن، ذلك المكان القديم و المكدس بالملفات و الأوراق الهامة لا يبعث على السعادة أبدا بل يجعل من الروتين حاكم أعلى على الجميع، رغم أن كل شيء مرتب ومنظم إلا أنه يوحى بالفوضى والعشوائية.

فعلتها مجددا - السبرتاية - واستغلت أن حسنين أخذ يدندن مع اللحن الطربي الجميل و أصدرت صوت غليان القهوة مما اضطره إلى الإمساك بسرعة بالفنجانين و سكب القهوة بداخلهم قبل أن يختفى وجهها الفائر.

حمل الإثنين واتجه إلى مكتب صديقه القديم ووضع أحد الفنجانين أعلاه ثم أكمل إلى مكتبه وجلس وهو شارد الذهن، لاحظ ذلك الأمر حلمى فقال: هل تمزح ؟ انت مازلت تفكر بها حقا؟!

ارتشف حسنين من الفنجان رشفة وقال: لا أستطيع ألا افكر بها، أنا لا اعلم الطريقة المناسبة لإبعادها عن عقلي وقلبي.

ارتفع صوت حلمى على غير العادة وقال: إنها تستغلك دائما، أليس هذا كافيا لإيقاف نزيف قلبك؟

ابتسم حسنين وقال شارحا لزميله: أعلم جيدا أنها تستغلنى عندما تريد أن تحصل على معلومة من داخل ذلك

القبو المنسي، لن تصدقنى عندما أقول لك اننى انتظر أن بشغف أن تفكر فى استغلالى من جديد، أى شيء أفعله من أجلها يجعلنى فى قمة السعادة والفرح، أن أراها هو أقصى طموح لدي، ليتها تستغلني كل يوم.

ضرب حلمى كفا على كف وهو يقول: إنها لعنتك حقا وستظل هكذا دائما.

نظر حسنين إلى المذياع وهو يردد مع صوت أم كلثوم كلمات أغنيتها وهى تقول: أمل حياتى يا حب غالى مينتهيش، يا أحلى غنوة ..غنوة، سمعها قلبي ولا تتنسيش.

ثم أخرج صورة لزينب من داخل جيبه وأخذ ينظر لها فى شوق وحب كبيرين وهو يكمل الكلمات ويشرب من القهوة، نظر له حلمى فى تعجب وأخذ يكمل عمله فى أرشفة بعض الملفات التى وصلت حديثا من أجل الحفظ.

***

كان الظلام يعم الشقة بالكامل عندما وصلت زينب فى وقت متأخر، بحث عن زر الإضاءة ونجحت فى ذلك ثم وضعت حقيبتها على منضدة قريبة وأغلقت خلفها الباب بالمفتاح ثم الترباس ثم وضعت كرسي ضخم خلفه، خلعت حذائها وشعرت بإرهاق جسدي وذهني فقررت أن تحصل

على قسط من الراحة بعد حمام دافئ دائما ما ينجح فى إزالة كل آثار الإرهاق.

ملأت حوض الاستحمام بالماء الدافئ وجعلت البخار يملئ الحمام بالكامل ثم خلعت ملابسها واستلقت بداخله وجعلت المياه تنساب على سائر جسدها، أغمضت عينيها فى هدوء وسكينة، الصمت يتخلله صوت خرير المياه المتدفق من الصنبور ليجدد الدفئ فى الحوض، شعرت أن درجة الحرارة أصبحت مناسبة فأغلقت تدفق المياه لتسمع صوت همسات قادمة من أحد ما جالس بالقرب منها.

أصابها الفزع وفضلت أن تظل على نفس وضعيتها مغلقة عينيها، تجمد الدم فى عروقها رغم حرارة الماء وذلك البخار المتصاعد، صوت الهمس أخذ يرتفع تدريجيا وأصبح كلمات مسموعة لكنها غير مفهومة.

لم يكن هناك حل آخر، فتحت عينيها لتجد رئيسة وجها لوجه، عيونها السوداء القامة وشعرها المتدلي من أسفل وشاح أسود، وجهها المخترق وفمها الذى يسيل منه اللعاب، لم تحرك زينب ساكنا وظل جسدها يرتعش من هول ما تراه، رفعت رئيسة يدها الموشومة في اتجاه وجه زينب ولامسته وهى تقول: أنتم السبب فى فتح الباب و لا قدرة لكم فى إغلاقه، يجب أن تعطوني ما أبحث عنه وإلا أحرقت ذلك

الوجه الجميل ومزقت هذا الجسد المتناسق.

أنهت كلماتها وظلت تعبث بيدها فى المياة الساخنة فتحول لون الماء إلى الأحمر القاني، اقتربت اكثر بوجهها حتى كاد أن يلتصق بوجه زينب ثم صفعتها بقوة ووقفت، اتجهت إلى باب دورة المياة ثم فتحته وخرجت، تحركت عبر الأروقة ثم اختفت تماما.

خرجت زينب من حوض الاستحمام وهي تبكي من هو ما رأته و بعد أن صبغ جسدها باللون الاحمر، حملت منشفة ولفتها حول جسدها وخرجت إلى الرواق وهى تكاد تفقد الوعي من الخوف، بحثت داخل الشقة بالكامل ولم تجدها، جلست أرضا بجسد مرتعش وعين جاحظة.

استعادت رباطة جأشها للحظات ثم بحثت عن هاتفها الجوال وبحثت عن رقم رأفت ثم ضغطت على زر الاتصال وهى تهتز إلى الامام وإلى الخلف بطريقة لا إرادية وتتحسس وجهها مكان الصفعة.

***

صوت هاتفه الجوال يتعالى أعلى الكومود بشكل مزعج، تأفف فوق فراشه ثم أرسل يده لتمسك بالهاتف وتخرسه لكنه لم يستطع ووقع منه أرضا، مازل صوت الرنين موجود

ويلح عليه بالإجابة، متزامنا مع صمت الهاتف الجوال اعتدل من نومته ثم فرك عينيه فرأى شبح أحدهم يقف على طرف السرير فى الظلام لمعت عيناه كفلاش كاميرا، ضم حاجبيه فى محاولة لاستيضاح الرؤية أكثر فاختفى ذلك الشبح متراجعا داخل ظلام الغرفة، هبط من فوق الفراش وقد تشابكت أفكاره لتنسج سيناريو مخيف من الأحداث، تحرك باتجاه الظلام بحرص محاولا التأكد من عدم وجود أحد معه فى الغرفة، شهق قائلا : اللعنة بعد أن سمع صوت الهاتف يرن من جديد.

عاد إلى مكان الصوت وجلس أرضا يبحث عن مصدر ذلك الصوت المزعج حتى وجده، نظر إلى الشاشة فوجد مكتوبا عليها اسم زينب، أجاب بصوت ناعس وقال: زينب ما الامر؟ لقد تخطت الساعة الثالثة فجرا.

جاء صوت زينب عبر الهاتف قائلة: لقد رأيتها يا رأفت.

تعرق وجه رأفت عندما لمح أحدهم يعبر بعرض الغرفة مسرعا إلى الخارج فتتبعه وهو يقول : رأيتى من يا زينب؟

بصوت مرتجف ومتوتر قالت: رأيت رئيسة فى الحمام، كادت أن تقتلني لكنها لم تفعل لسبب لا أعلمه وقالت أنها تريد شيئا ما يخصها وإن لم نحضره لها ستقتلنى وبالتأكيد ستقتلكم تباعا.

لم يجبها رأفت وفضل الصمت وهو يتبع أحد ما داخل شقته لا يعلم كيف دلف إليها ولا يعلم ماهيته، سمع صوت زينب من جديد تقول له بصوت مرتفع أكثر من ذى قبل: هل أنت معى يا رأفت، هل تسمعنى؟

رد عليها بصوت منخفض قائلا : نعم أسمعك، لكن أظن أن هناك أحد ما داخل شقتي، أغلقى الآن وسأعاود الاتصال بك مرة أخرى، لا تقلقي ستكون الأمور بخير فى الصباح، أعدك. أنهى كلماته ثم أغلق الهاتف وأكمل بحثه داخل الشقة فلم يجد أحد، عاد أدراجه إلى غرفة نومه وقبل أن يصل إلى بابها دفعه احدهم فى صدره فأوقعه أرضا، ظل رأفت يتراجع للخلف من هول المفاجأة حتى التصق ظهره بالحائط، رأى جسد يخرج من بين ثنايا الظلام وتبين له بعد ذلك وجه محترق قبيح وجسد ضخم تفوح منه رائحة الملابس المحترقة، ظل يقترب عليه بشدة، علم أنها رئيسة وأنها أتت لزيارته كما فعلت مع زينب من قبله، بدون مقدمات انحنت وامسكت بقدمه بقوة وغرزت أظافرها السوداء فى قدمه فصرخ متألما وسالت الدماء أرضا، لم يستطع فعل شيء سوى التألم والارتعاش، اقتربت بوجهها منه ثم قالت: لديكم ما أريد، ثلاثة أيام إضافية وسأعود، إن لم أحصل على ما أريد سأعود بأرواحكم إلى الجحيم من حيث أتيت بعد أن

أقطع رؤوسكم، أنا أجيد ذلك حقا.

أنهت كلماتها ثم ضغطت أكثر على قدمه حتى كادت أن تهشم عظامها فارتفع صوت رأفت بالصراخ اكثر، حاول أن يتماسك حتى ترحل لكنها ظلت ترمقه للحظات ثم عادت إلى الظلام من جديد كما حضرت.

حاول رأفت الوقوف لكنه شعر بألم شديد للغاية، استند على الحائط حتى دخل إلى غرفة نومه، أحضر شيء ليوقف النزيف المتدفق من أثر جرح غائر أحدثته تلك الشيطانة.

جلس أعلى فراشه وهو يفكر فى أمر ذلك الشيء الذي تسعى رئيسة إليه وأنه يجب عليهم أن يعثروا عليه قبلها وإلا ستكون النهاية ليس فقط لهم بل لجميع أهل القرية وتعود اللعنة من جديد.

***

صدره يعلو ويهبط بسرعة كبيرة، قلبه يكاد أن ينخلع من مكانه، رأسه تكاد تذوب من فرط الحرارة المرتفعة والعرق يتصبب أنهارا جارية، تحدث له تلك الامور عندما يمر برؤية ما أثناء نومه، ذلك الأمر يحتجزه بداخله حتى ينتهى ويفيق وهو يتذكر جيدا ما رآه، الآن تتكرر الرؤية من جديد وعليه أن يفسر كل ما رأى ويكتبه قبل أن ينساه.

موسى يقف أمام جبل عملاق أثناء غروب الشمس، هناك إمرأة ضحمة الجسد ترتدى ملابس سوداء مكونة من عباءة سوداء ووشاح أسود وتخفى معالم وجهها إلا عيناها، تلتفت يمينا ويسارا وهى تتسلل من قرية ما فى اتجاه ذلك الجبل، تتبعها موسى تاركا مسافة كافية بينه وبينها حتى لا تشعر بوجوده، صعدت الجبل عن طريق جزء ممهد كالطريق للصعود حتى وصلت امام كهف ما يطل وحيدا فى مكان بعيد موحش للغاية، خلعت العباءة فظهر جسد متناسق لسيدة جميلة بملابس زاهية، دخلت إلى الكهف عبر فوهة ضيقة تكفى لعبور شخص واحد على أقصى تقدير، انتظر لحظات ثم دخل إلى كهف هو الآخر، طريق ضيق طويل يقود إلى المجهول موزع على جانبيه شعلات من النار تبدد الظلام على استحياء، رائحة البخور منتشرة فى كل مكان، ظل سائرا حتى وجد ستار أحمر ثقيل، أزاحه بيده ليجد تلك السيدة تخلع ملابسها بالكامل وتتجه إلى رجل أسود طويل يقف أعلى طاولة وبيده سكين وبالأخرى ديك يحاول الهروب، أشار ذلك الرجل الأسود إلى تلك السيدة أن تركع ثم أحضر سكينا وذبح فوقها الديك وأغرقها بالدماء السائلة من جسد ذلك الطائر المسكين ثم انتهى من ذلك الطقس الغريب وترك الديك أرضا وبدأ هو الآخر فى خلع ملابسه ثم اقترب من تلك السيدة وبدأ فى تقبيلها.

شعر موسى أن هناك حركة ما خلفه فالتفت فلم يجد شيئا، عاد بنظرة إلى الداخل ليجد رئيسة تقف أمامه بوجه محترق وهى تمسك برأس ذلك الرجل الأسود من شعره وتمسك بالأخرى السكين ومازل يقطر دما، هرول موسى سريعا فى اتجاه الخروج وهو يسمع صياحها من خلفه وهى تمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، وقع أرضا ثم وقف سريعا وأكمل طريقه إلى الخارج وقبل أن يخرج من تلك الفوهة شعر بيدها على كتفه ثم أحس بنيران تحرق جلده فصرخ متألما.

أفاق موسى من نومه وهو يصرخ وينطق بإسمها قائلا: رئيسة، رئيسة.

شعر بألم ما فى قدمه، أزاح الغطاء ليجد جرح ما أصاب ركبته، تذكر أنه وقع اثناء الكابوس داخل الكهف، هبط من فوق الفراش ليشعر بألم آخر فى كتفه لم يستطع لمسه من شدته، تحرك فى اتجاه المرآة و نظر إلى مكان الألم فوجد حرقا على شكل أصابع، فزع من ذلك الأمر وأسرع في إحضار ورقة وقلم وجلس يدون كل ما رآه حتى لا ينساه.

أخذ يدون لاكثر من ساعة لما رأه وحاول أن يتذكر كل التفاصيل ثم بدأ يرسم وجهها قبل موتها وبعد أن عادت بقدر المستطاع، شكل الكهف من الخارج ومن الداخل، شكل ذلك

الرجل الاسود، كل شيء.

أنهى الكتابة والرسم ثم حاول أن يجرى مكالمة جماعية بينه وبين رأفت وزينب، اتصل بالإثنين ولم تمر ثانية حتى أجاب كليهما بصوت يشوبه الكثير من الخوف والفزع، قالت زينب: هل تعرضت لك رئيسة أنت الاخر؟ هل زارتك يا موسى؟

اجاب موسى بعد أن أخذ نفس ملأ به صدره قائلا: لا لم تزرنى بل أنا من زرتها فى الماضى قبل أن تموت.

جاء صوت رأفت مرتفعا يحاول أن يفهم أكثر: كيف هذا؟ رؤية اخرى؟

أجاب موسى: نعم رأيتها سيدة جميلة بخلاف آخر مرة رأيتها بها فى بيت عمران فى تلك القرية المنكوبة، رأيتها تتجه إلى جبل يقع بالقرب من تلك القرية ثم إلى كهف بعينه داخل ذلك الجبل.

صمت قليلا فحثته زينب على أن يكمل وهى تقول: و مالذى رأيته بعد ذلك؟ أكمل يا موسى.

بصوت يشوبه الخوف قال موسى: رأيتها برفقه أحدهم ويبدو أنه كان ساحرا أو ما شابه، فعلوا سويا طقسا قميء ثم أكملا تلك الفعلة برجس أكبر، لا افهم حقا معنى ما رأيته

بعد ذلك، رأيتها فجأة أمامى، تنظر إلي وهى ممسكة برأس ذلك الرجل الأسود بعد أن فصلتها عن جسده وقد تحول وجهها إلى السواد مختلطا بحروق، هربت لكنها تبعتنى وأصابتنى بحرق بكتفي وجروح بقدمى، وعندما أفقت وجدت تلك الإصابات حقيقية للغاية، كيف لرؤية او كابوس أن يكون حقيقى لتلك الدرجة، لا أعلم حقا ما معنى كل ما رأيته.

صمت الثلاثة ثم بدد ذلك الصمت رأفت وقال: أنا أيضا أصبت يا موسى بقدمي وأتحامل من اجل السير عليها.

أكملت زينب هى الأخرى قائلة: وأنا أيضا أصبت ومازالت آثار أصابعها واضحة على وجهى.

لم يعقب موسى وظل شاردا فجاء صوت رأفت عبر الهاتف قائلا: يجب أن نجتمع خلال ساعة ولا نترك بعضنا بعضا حتى ننتهى من ذلك الكابوس، قابلونى فى المطعم فى أسرع وقت، نجلس ونصفى ذهننا ثم نقرر ما العمل فى مواجهة رئيسة.

الباب الثاني

رئيسة تعود

(3)

يبقى الشيطان ساكنا حتى يظن الجميع غيابه، لا يُشعر أحد بوجوده حتى الوقت المناسب ثم تنقلب الطاولة ويتحكم هو بزمام الأمور، دائما ما تنجح تلك الحيلة فى كل مرة.

***

قبل أن تشرق الشمس وصلت زينب إلى تلك الغرفة داخل المطعم وكانت الاخيرة، ارتدت نظارة شمس كبيرة الحجم لتخفى آثار الصفعة من على وجهها، فتحت الباب لتجد موسى جالسا فوق أريكة وهو شارد الزهن تماما وهو ممسك بكتفه يتحسسه بألم بينما رأفت كان يقف بصعوبة مستندا على عكاز ويراجع بعض الاوراق الموضوعة أعلى مكتب ما موجود داخل تلك الغرفة، فور دخولها انتبه لها الإثنان، خلعت النظارة فأتسعت نظراتهما لرؤية تلك العلامة على وجهها المتمثلة فى أصابع بارزة للغاية، تحرك رأفت مستندا على عكازه واتجه إلى زينب و هو يقول: ستنتهى تلك اللعنة

قريبا، أنا اعلم ذلك جيدا، لا تقلق.

جاء صوت موسى قائلا : نعم ستنتهى لكن بخسائر، تلك المرة ستنتهى بخسائر يا رأفت، انظر لحالنا وستعلم اننى اقول الحقيقة.

دمعت عين زينب وقالت : علينا أن تحصر على عدم تكبد الكثير من الخسائر، انا لن اتحمل فقدان احدا منكم او اراه يعاني بقية حياته بسبب فعل طائش صدر منا فى الماضى، اريد أن تنتهى تلك اللعنة.

شعر رأفت أن اليأس بدأ يتسلل إلى الإثنين فقال مباغتا اياهما: لن يحدث مكروه إذا استطعنا إيقافها قبل أن تصل إلى مرادها، ينقصنا فقط أن نعلم عن ماذا تبحث.

أومأ موسى برأسه موافقا الرأى وقال: صحيح، هى الآن تبحث عن شيء سيشكل فارقا فى قدراتها وإن وجدته ستصبح فى غاية القوة والشر، إنها تراقبنا، تعلم جيدا أننا سنعثر على مرادها، يجب أن نسبقها بخطوة إذا اردنا الخلاص.

أشار رأفت بيده إلى موسى موضحا وقال: إذا أردنا أن نسبقها علينا أن نعلم عنها كل شيء، نعلم قصتها بالكامل، نعلم عن نشأتها وتاريخها و الأهم عن الشيء الذى تريده

وكيف رحلت عن عالمنا ولماذا عادت الآن، وأنتم تعلمون أن هناك طريقة واحدة لمعرفة كل تلك المعلومات طبعا.

صمت الثلاثة ثم نظر رأفت وموسى إلى زينب التى أومأت برأسها فى عدم رضا وقالت: لا رجاءا ليس مرة اخرى، أنا افضل صفعات أخرى من رئيسة على أن أطلب شيء من حسنين مجددا.

وضع موسى يده على وجه زينب مكان الصفعة مباشرة فصرخت وأبعدت يده عنها فقال رافت: هل أنت حقا تفضلين صفعة جديدة من رئيسة على أن تقابلي حسنين لمرة اضافية وتحصلى منه على معلومات جديدة؟

صمتت زينب قليلا ثم قالت: الإثنان متساويان بالنسبة لي حقا.

أصدر موسى ورأفت ضحكة تلقائية سرعان ما انتهت عندما تذكروا أن عليهم التركيز و لا مجال الآن للمزاح، فعندما يعم الظلام تصمت الأفواه وتتسارع دقات القلوب وتتشتت العقول.

وضعت زينب تلك النظارة الشمسية ضخمة الحجم وهى تقول: هل هناك حل آخر بعيدا عن جحيم حسنين؟.

حرك رأفت رأسه يمينا ويسارا دليلا على النفى وقال: ليس

هناك حل اخر، حسنين هو السبيل الوحيد.

نظرت زينب إلى الأرض ثم فتحت حقيبتها وأخرجت هاتفها الجوال وأخذت تبحث عن رقم حسنين ثم بعد ثوان من التردد ضغطت على علامة الاتصال وانتظرت الرد الذي تتمنى ألا يحدث ابدا.

***

حضر قبل الميعاد بساعة كاملة، جلس ينتظرها داخل نفس الكازينو المعهود دون كلل أو ملل، غير مهتم بتلك المدة التى انقضت دون أن تهاتفه كما تعود منها أو حتى ترد على محاولات الاتصال بها، غير مهتم بتحولها المفاجئ من الجفاء إلى الود لفترات متقطعة يتمسك بها داخل مخيلته وبين جدران صدره ثم سرعان ما يعود الجفاء وينتهى الود لتسود القسوة وعدم الاكتراث من طرفها، غير مهتم بكرامته التى سرعان ما سقطت فى الوحل أو حتى قلبه الذى يتفتت إلى أجزاء صغيرة ثم يعود ليلملم أشلاءه ويستجمعه ويضعه بعد ذلك أسفل قدميها من جديد، إنها لعنة التى يعشقها و جحيمه الذى يرتاح به، يشعر أنه خلق من أجل أن يحبها، ينتظر لحظة قبولها له ولو حتى بعد مئات السنين، لذلك هو دائما موجود حين تحتاج إليه وهو يعلم أنها سترحل بعد أن تحصل على ما تريد وتعود إلى الجفاء من جديد.

بعد مضى ثلثي الساعة شعر بقربها، وقف وأخذ يفحص نفسه جيدا، شعره مصفف جيدا، ملابسه مهندمة جيدا، رائحة جسده وفمه طيبة، التفت لتقع عينه عليها، قلبه مازال ينبض بحبها ويذوب شوقا لرؤيتها، مازال يشعر فى وجودها أنه يحلم لكنها أمامه، اقتربت وخلعت نظارتها كبيرة الحجم فظهرت علامات الصفعة، تغيرت ملامح وجهه وحاول السؤال عن سببها فقالت: لا تسألنى رجاءا أومأ برأسه أنه لن يفعل.

مدت يدها بتلك البسمة التى تتقنها عندما تريد شيئا، لم يهمه مدى صدق تلك البسمة المهم أنها موجهة إليه وهذا يكفى، شعر بسؤال ملح عن تلك العلامات على وجهها فهو يكره رؤيتها مصابة ويشعر بالمسؤلية تجاهها لكنه كتم فضوله بصعوبة.

ظل ممسكا بيدها ليسرق ثوان إضافية من النعيم، تركته يمسك بها كصياد ماهر يراقب فريسته تقترب وهو يراقبها بهدوء ثم يقوم بحركته المباغتة ليوقع بها داخل شباكه حيث لا فرصة للفرار الآن.

نظرت إلى عينيه لثوان حتى علمت أن الخدر قد سرى بجسده، سحبت يدها برفق و ضمت شفتيها بطريقة أنثوية قاتلة جعلته فى خبر كان، لم يتحمل قلبه المزيد منها فذلك

الشعور بقربها أكثر من استطاعته، أغمض عينيه حتى يستعيد وعيه ثم عاد ليفتحهما وظل يتفحص وجهها بطريقة لا إرادية.

صمت الإثنان قليلا حتى استجمع هو شتات نفسه وقال: تعلمين جيدا أننى سأكون فى انتظارك مهما طال جفاؤك، لقد خلقت هكذا، سأكون دائما موجود عندما تحتاجين إليّ.

اتسعت بسمتها اكثر وقالت: أعلم هذا جيدا، لذلك أنت أول من يخطر ببالى عندما أحتاج لشيء صعب المنال، وأعلم أنك غاضب منى لانقطاعى عن محادثتك و مقابلتك والرد على مكالماتك.

أشار بيده نافيا أنه غاضب منها وهو يقول: انا لا أغضب أبدا منك، فقط اشعر بالوحدة فى غيابك وألوم نفسى و أظل أسترجع أفعالى حتى أتاكد أننى لم أضايقك أو أفعل ما يبعدك مرة اخرى، أنا احترم حدودك يا زينب، لذلك لا تضيعى الوقت فى التبرير، دعينا نتحدث عن سبب اتصالك المفاجئ.

شعرت بشيء من الإحراج بسبب طيبته، ظنت دوما أنه إنسان لزج الطباع، ثقيل الظل، لم تنظر قط إلى جانبه العفوى وقلبه الكبير وشخصيته المثابرة لكنها سرعان ما طردت تلك المميزات من حساباتها وعادت إلى شعورها بالضيق فى وجوده، كانت تبحث عن سبب جديد لسؤاله عن رئيسة غير

أنها تكتب رواية جديدة أو تعيش عالم الماورائيات وتبحث عن القتلة المتسلسلين فقالت: اريد ان اسأل عن أحد القتلة المتسلسلين ولكن تلك المرة الأمر لا يتعلق ببحث او كتابة رواية، إنه يتعلق ب.....

قاطعها حسنين مشيرا إليها بالصمت وهو يقول: قلت لك سابقا، انا سأكون موجود دائما عندما تحتاجين إلى، لا اريد ان أعلم السبب، فقط أخبرينى بإسم ذلك القاتل وكل ما تحصلت عليه من معلومات وأنا سأخبرك بكل تفاصيل ملفه فى الأرشيف وكل المعلومات السرية والدقيقة عنه.

أفحمها مرة اخرى بشهامته و بصراحته لكنها تذكرت ثقل ظله وابتسامته تلك التى تمقتها وقالت: ليس قاتلا متسلسلا بل قاتلة اسمها رئيسة وكل ما أعمله عنها أنها ولدت فى قرية من قرى الصعيد وكان لها علاقة ما بالسحر.

تجهم وجهه وضم حاجبيه وهو يعود إلى الخلف ساندا ظهره على الكرسى وهو يقول : رئيسة !!! أنت بالتأكيد لا تقصدى رئيسة التى قتلت زوجها ثم قتلت أحد السحرة السوادنين كان يقطن بكهف منعزل فوق أحد الجبال و أخذت مكانه وعملت بالسحر السفلي؟

تلك الكلمات كانت كفيلة بأن يحاول قلبها الهروب من بين ضلوعها لكنها تماسكت وقالت: أعتقد أنها هى يا حسنين، ما

الذى تعرفه عنها أخبرنى رجاء.

صمت قليلا وقال: هل هذا الأمر له علاقة بتلك الصفعة على وجهك؟

اختفت بسمتها وأمسكت بحقيبتها فى محاولة منها للضغط عليه فى أن يفصح عن معلومات إضافية، فهم ما ترمى إليه فأمسك بيدها و هو يقول: حسنا لا مزيد من الاسئلة عن تلك العلامات، لا مزيد من الاسئلة على الإطلاق، سأخبرك بأمر رئيسة ولكن أولا يجب ان نطلب مشروبا.

عادت بسمتها من جديد فرفع يده مشيرا إلى النادل أن يقترب ثم استغل عودة هدوئها واحتضن يدها بين راحتي يديه وهو ينظر لها ويرسم تلك البسمة التى تمقتها بشدة لكنها مضطرة أن تستكمل الحديث معه.

***

بعد أن انتهيا من شرب ما طلباه من مشروبات وانتهى حسنين من إلقاء بعض النكات التى زادت من نفور زينب وظل يضحك عليها هو وحيدا بينما هى لم تغير من تلك البسمة الثابته كلوحة جفت ألوانها فى وجهه، أخذ يتحدث عن مغامراته فى ذلك القبو وكيف أنه يحفظ كل ورقة به عن ظهر قلب، قاطعته بعد أحست أنها ستنفجر فى وجهه

وتفشل فى استخلاص المعلومات عن رئيسة فقالت له: لا أن تأخذنى يوما فى جولة داخل ذلك الصرح العظيم يا حسنين، والآن ما المعلومات التى تعرفها عن رئيسة؟.

ابتسم بعد أن شعر انه حصل منها على وعد بزيارته داخل مقر عمله وبنى طموحات أنه فى ذلك اليوم سوف يكسب إعجابها بمساعدة زميله الوحيد بالعمل حلمى، شرد قليلا ثم استفاق على سؤالها له مرة اخرى قائلة: رئيسة ما الذى تعرفة عنها؟

اعتدل فى جلسته وقال: نعم رئيسة، حسنا يا زينب، سأحكى لكى عن ملفها الامنى، أحضر أحد أمناء الشرطة قبل خمسة أعوام صندوقا مغلقا بإحكام ومكتوب عليه بخط عريض شديد السرية، وكالعادة أنا فقط المصرح له بفتح تلك الصناديق واستخراج ما بها من ملفات شديدة الخطورة والسرية.

خفق قلبه فرحا عندما رأى فى عينيها نظرة اعجاب به فأكمل قائلا: عندما فتحت ذلك الصندوق وجدت ثلاثة ملفات واحدا منهم كان يعود إلى رئيسة، وعلمت من أمين الشرطة ان تلك الملفات غير مصرح لأى أحد الاطلاع عليها مهما كان منصبه، وسبب إحضارها فى ذلك الوقت هو نقل أرشيف كامل إلى مكان عملى ليصبح هو الفرع الرئيسى وانا

مديره، مدير الأرشيف الجنائى.

شعرت أنها فى دوامة لن تنتهى قريبا فحاولت أن تدفعة إلى صلب الموضوع قائلة: كم أنا فخورة أنك ابن خالتي يا حسنين، مدير الفرع الرئيسى للأرشيف الجنائى، هو الوحيد المخول له أن يطلع على الملفات شديدة السرية، أخبرنى رجاء ما جاء فى ملف رئيسة.

اتسعت بسمته وقال: حسنا، أنهيت قراءة الملفات الاخرى ووجدت حقا أنها يجب ان تظل سرا طوال الأمد فبها ما لا يصدقه عقل وجاء وقت قراءة ملف رئيسة، علمت انها امرأة من الصعيد تدعى رئيسة بدوى غفران ولدت فى أواخر القرن التاسع عشر ولم تدرج سنة ميلادها بالضبط بسبب نقص المعلومات فى تلك الفترة، كانت شديدة الجمال مما يجعل المرء يعشقها من أول وهلة، تزوجت فى سن مبكرة من ابن عمها الذي كانت تبغضه بشدة، لم تنجب قط طوال سنوات فنبذت وأصبحت مصدر عار لذويها، لذلك اتجهت إلى ساحر سودانى كان يسكن كهف فى الجبل، يهابه الجميع ومن يذهب إليه يطرد من القرية لكنها اتخذت قرارها، فعل بها امور لا داعى لأن تعلميها واستغلها على أمل أن تنجب لكنها لم تستطع الانجاب وهو لم يكن يساعدها بل كان يستمتع بها كمعشوقة له، ساءت الامور أكثر بعد أن تزوج عليها زوجها

وأخذ يعاملها بقسوة ويضربها بكثرة وأنجب الكثير من إمرأة أخرى وظلت هى على علاقة بذلك الساحر وعلمت أنها لن تنجب قط وأن الجميع يكرهونها فكرهت الجميع، أرادت الانتقام من الجميع فأول ما فعلته أنها قتلت زوجها وأبنائه وزوجته الأخرى وقطعت رأس زوجها واتجهت إلى الجبل وقطعت رأس الساحر ودفنتهم جميعا فى الصحراء، علم أهل القرية بالأمر عن طريق طفلة صغيرة رأت كل ما حدث فقرروا قتلها اتجهوا إلى الكهف وحاولوا الإمساك بها فهربت و القت عليهم لعنة سفلية ففى كل عام تختفى طفلة من القرية ويجدونها مقتولة فى كهف الجبل، يقولون أن مصدر تلك اللعنة خاتم ما كانت ترتديه.

أنهى كلماته ونظر إلى وجه زينب الذى بدأ فى التعرق، أخرج منديلا وأخذ يمسح عرقها فى حنان، انتزعت المنديل منه بعصبية وهى تقول: وما الذى حدث بعد ذلك؟

ظهرت معالم الإحراج على وجه حسنين ثم تماسك وقال: الحقيقة انا لم اكمل قراءة الملف، ففى ذلك اليوم حضر زميلى فى العمل حلمى و أخبرنى ان احد القيادات من الوزارة قادم إلى الأرشيف، فوضعت الملف داخل قسم الملفات السرية ولم اكمله حتى اليوم.

نظرت زينب إلى الاسفل فى نفاد صبر ثم رسمت تلك

البسمة من جديد ورفعت وجهها وهى تقول: ما رأيك أن أحضر معك إلى مقر عملك صباح الغد ونكمل قراءة الملف سويا يا حسنين.

تهللت أسارير حسنين وقال: بالتأكيد موافق، أنت فقط تشيرى وأنا ألبى، اكتبى ذلك العنوان ونتقابل غدا فى تمام التاسعة صباحا، سأنتظرك.

***

فى صباح اليوم التالى وقف الثلاثة أمام تلك الفيلا القديمة التى تقع فى منطقة المعادى فى انتظار حضور حسنين، نظر رأفت إلى ساعته وهو يقول: زينب إنها آخر محاولة لنا، يجب أن نعلم كل شيء عن رئيسة، رجاء تحملى سماجته وثقل ظله لبضع ساعات إضافية، هل سيتأخر حسنين ؟ لقد قاربت الساعة على التاسعة.

أخرجت زينب هاتفها الجوال من حقيبتها وأخرجت رقمه وهى تقول: حسنين لا يتأخر أبدا، سأحاول الاتصال به، عليكم أن تبتعدوا الآن، هو سيصل فى أى لحظة.

تحرك رأفت وهو يستند على موسى وعبرا الشارع ببطء إلى الجهة الأخرى بينما ضغطت زينب زر الاتصال و هى تتأفف لتسمع صوت نغمة تحفظها جيدا قادمة من هاتف

قديم، نعم إنها نغمة أجمل إحساس لمطربة حسنين المفضلة إليسا، إنها قادمة من داخل تلك الفيلا وتقترب، فتحت باب الفيلا وظهر من خلفه حسنين وهو يقول: أنا أنتظرك منذ ساعة، تفضلى بالدخول.

سمح لها بالدخول أولا ثم تبعها وأغلق خلفه باب الفيلا، كانت زينب تنظر إلى تلك الفيلا من الداخل التى امتازت بالطراز القديم و السقف المرتفع و أيضا الكثير من الشقوق التى تحتاج إلى ترميم، توقعت أن مكتب حسنين سيكون فى أحد تلك الغرف خلف أحد الأبواب المغلقة لكنها تفاجئت عندما سبقها واتجه إلى القبو، تبعته فى هدوء، سلالم تقود إلى أسفل، تبعته وهو يشرح لها محتويات القبو وهو يقول: انا أحفظ تصنيفات وأماكن هذه الملفات عن ظهر قلب، ففي نهاية القبو ملفات القضايا السياسية، عن يميننا قضايا التخابر، وقبلها القضايا الخاصة بالرياضة، في منتصف القبو قضايا القتلة والسفاحين، وهكذا.. إلى نهاية التصنيفات.

لم تتفوه بكلمة واحدة وتبعته حتى وصلوا إلى مكتبه، سحب كرسى قديم الطراز ونفض الغبار من فوقه وأشار لها أن تجلس بينما جلس هو على كرسى متهالك، صمت وانتظر منها أن تقول رايها بمكان عمله فبادرته قائلة: ملف رئيسة يا حسنين؟

تنبه إلى سبب وجودها الحقيقى هنا فقال: نعم، صحيح، ملف رئيسة، لحظات وسوف أعود.

تركها واتجه إلى أحد الأقسام حتى اختفى تماما، ظلت تنتظره دقائق وهى تتلفت حولها لتتفحص ذلك المكان بعينيها، مكان كئيب للغاية، يحوي ملفات ولا شيء غير الملفات باستثناء مكتبين وعدة كراسي متهالكة ومروحة انتهت صلاحيتها، عاد إليها يحمل ملف قديم، اقترب وجلس على الطرف الآخر من المكتب ثم وضع الملف أعلاه وقال لها: بحذر، فذلك الملف قديم ومتهالك ورجاءا لا تصوير، إنها أسرار عملي، تفحصيه كما يحلو لك وأنا سأعد فنجانين من القهوة.

اتجه حسنين إلى المذياع وضغط زر التشغيل ليدوي صوت أم كلثوم وهى تقول إزاى إزاى إزاى، أوصفلك يا حبيبى إزاى قبل ما أحبك كنت إزاى يا حبيبى ثم ظل واقفا ينظر إلى زينب التى رأته ولكنها لم تبادله النظرة اختصارا لتلك الفقرة الطويلة من الرسائل الضمنية التى لا تحبها، فضلت أن تتفحص الملف بهدوء.

يأس حسنين من أن يحصل على لحظات عاطفية فاتجه إلى السبرتاية وبدأ فى إعداد القهوة وهو يدندن مع كلمات الأغنية بصوت مرتفع ومزعج.

دقائق وعاد حسنين بالقهوة، وضع فنجان أمام زينب والآخر أمامه وجلس ينظر إليها بشوق وحب كبيرين بينما كانت هى منغمسة في الملف بدرجة كبيرة، أمسكت بالفنجان وارتشفت منه رشفة وقالت بتعجب: كيف علمت أننى أفضل شرب القهوة من دون سكر.

ابتسم لها ثم قال: أنا اعلم الكثير عنك، أكثر مما تعتقدين يا زينب.

بادلته الابتسامة ثم عادت وأكملت قراءة فى الملف بنهم، تارة تظهر معالم الخوف على وجهها وتارة أخرى التعجب يسود ملامحها.

صوت خطوات تهبط السلالم فى اتجاه القبو جعل جسد زينب يرتعش، وقف حسنين واتجه إلى السلالم ليجده زميله حلمى فقال له: ما الذى أتى بك اليوم، ألم تطلب أجازة؟

قال حلمى بتعجب: لا لم أطلب بل أنت من طلب منى أن أحصل على إجازة، أنا لا طاقة لي بالمكوث فى المنزل طويلا ففضلت العودة، كما أن أحد الأمناء اتصل بي وأخبرنى أن العقيد عبدالرحمن الشامى فى طريقه إلينا للحصول على ملف سرى للغاية يحمل إسم رئيسة.

نظر حسنين إلى زينب وقال لها: يجب أن ترحلى الآن،

العقيد عبدالرحمن قادم لنفس الملف، أنا لا أعلم ما الذى يحدث لكن سنتحدث لاحقا.

وقفت منزعجة وهى تقول: لكننى لم أحصل على أى معلومات إضافية فقط ما أخبرتنى به أمس.

أشار لها حسنين أن تهدأ وقال: لا تقلق أنا سأتم قراءته وأخبرك بكل ما تريدى معرفته، والآن يجب ان ترحلى.

ظهرت معالم التعجب على وجه حلمى وهو يقول: ألن تقدمنا إلى بعضنا البعض يا حسنين؟

ابتسم حسنين وقال: حسنا حلمى هذه زينب، زينب هذا حلمي، والآن يجب ان تغادرى بسرعة وسأتصل بك فى المساء لا تقلق.

خرجت زينب مسرعة وعبرت الشارع لتجد موسى ورأفت فى انتظارها وفور أن رحلوا حضرت سيارة شرطة وتبعتها سيارة العقيد عبدالرحمن الشامى، هبط من سيارته ثم دلف إلى الفيلا مسرعا.

***

سقطت الشمس من فوق عرشها واعتلاه القمر بدلا منها، بالطبع لم يكن مشعا مثلها لكنه يملك قلوب الكثيرين من

المعجبين الذين يتغنون له فى كل وقت بينما هى يمقتها الكثيرون من أجل سطوعها الطاغي، هكذا هو الحال دائما، من يسطع نجمه يمقته الكثيرون بينما من يملك سطوعا مزيفا يقابله الجميع بالتصفيق نفاقا.

وفى تلك الاثناء كان الثلاثة مذنبين فى مكانهم المعهود داخل المطعم الخاص بهم والذى قارب على الافلاس بسبب قلة متابعتهم له، فالمال السائب يعلم السرقة كما يقول عامة الناس.

تلك المرة الأولى التى تنتظر فيها زينب اتصال من قبل حسنين وهى ممسكة بهاتفها الجوال لكن الأمر طارئ وشديد الخطورة حقا، تركت الهاتف وبحثت داخل حقيبتها عن مرآة صغيرة، أخرجتها فى عجالة وأخذت تتفصح تلك العلامة على وجهها فوجدتها قد بدأت فى الاندثار، شعرت أن تلك علامة للفرج وعودة الأمور فى القريب العاجل إلى نصابها، نظرت إلى رأفت فوجدته يحاول الاتكاء على قدمه وقد تمكن من فعل ذلك وأيضا موسى أصبح كتفه بخير لكنه ترك ندبة مكان الحرق.

رن هاتفها فجأة ففزع الجميع ولكن تنبهوا بعدها أنه الهاتف ولا داعى للخوف، أمسكت زينب بهاتفها لتجد اتصال من حسنين، أجابت زينب فى عجالة قائلة: تأخرت كثيرا فى

الاتصال، اعتقدت انك تخليت عن وعدك لى.

فتحت مكبر الصوت كى تتيح للجميع سماع ما سيقال فجاء صوته مرهقا للغاية وهو يقول: أعتذر عن تأخر اتصالى بك، لقد كان يوما شاقا للغاية، على كل حال لقد حصلت على المعلومات التى تريدينها، أنا لم أنهى الملف لكن مؤقتا يجب عليك أن تعلمى أمرا هاما، تلك المرأة التى كانت تدعى رئيسة قتلت الكثير من الأطفال فى إحدى قرى الصعيد سأرسل لك تفاصيلها فى رسالة، لكن رجاء تلك المرة لا تذهبى من دونى، تلك القرية فى مكان منعزل تقريبا، كما أن علينا أن نذهب إلى الكهف مباشرة، هناك قد نجد ما تبحثين عنه من معلومات، أنا أعلم أين يقع تحديدا، عليك ان تنتظرينى.

صمتت قليلا وهي تفكر ثم قالت: هل هناك أى معلومات أخرى عن رئيسة، تفصيلة ما كانت تميزها.

تأخر فى الرد ثم قال: نعم كانت ترتدى خاتما وذكر فى الملف أنها كانت تزداد قوة عند ارتدائه و تصبح عنيفة للغاية وتصبح قبيحة للغاية وعندما تخلعه تعود إلى طبيعتها وتعود ملامحها إلى الجمال، لكن تلك مجرد أقوال من عقود مضت وقد تغلب عليهم الجهل والخوف وقتها، لا تشغلى عقلك بتلك الترهات، زينب رجاء لا تذهبي بدوني.

أشار لها رأفت أن تخبره بالموافقة فقالت له: موافقة،

سأنتظر يوم إجازتك ونذهب سويا، أنا أشكرك على وفائك بوعدك، وإن حصلت على معلومات أخرى عليك أن تخبرني على الفور.

جاء رده سريعا وهو يقول: أنا قرأت بالكاد نصف الملف وأعتقد ان هناك الكثير من الأسرار والتفاصيل فى الجزء الآخر من الملف، يجب ان ننال كلينا قسطا من الراحة وسأتحدث إليك فى الصباح، تصبحي على خير.

أجابته: تصبح على خير، سأنتظر مكالمتك غدا.

أنهت المكالمة فى عجالة وهى تنتظر القرار من صديقيها فقال رأفت الخاتم، إنها تبحث عن الخاتم.

أكمل موسى ما استنتجه رأفت وقال: الخاتم مازال داخل الكهف، إنها تبحث عنه وتريد ان تعلم مكانه، يجب أن نحصل عليه قبلها، يجب أن نعود إلى تلك القرية ونتجه إلى ذلك الجبل ونقتحم الكهف الذى أخشى أن أدخله مجددا.

***

محطة مصر من جديد، ذلك التكدس العظيم وكأن مصر كلها ستسافر وتعود فى نفس اليوم، تلك القطارات التى تقطع مصر طولا وعرضا أصبحت محملة بملايين الوجوه وآلاف القصص، من يفضل الصمت طوال الرحلة، من يستغل

ساعات السفر فى النوم، من يغنى ومن يثرثر ومن يحمل معه همومه، عائدا من الغربة ومفارقا لأحبة، هارب من الثأر وعائد لبيع إرثه، الكثير من المتناقضات كتفا بكتف، حياة كاملة لمئات الأشخاص يحملها قضيب ومن فوقه جسد حديدى يسير على عجلات.

استعد ثلاثتهم إلى رحلة شاقة تقودهم إلى سر اللعنة، لم يتصوروا يوما أن شغفهم بأفلام الرعب وبحثهم عن الماورائيات سيقودهم إلى شيطان حقا، ظنوا أنه فضول آمن ولم يكن الفضول يوما آمنا، خطأ وحيد فتح كل تلك البوابات وسمح للشياطين أن يعبروا ولا يعلمون حقا متى ستغلق وينتهى ذلك الكابوس، لم يتحدثوا طيلة الطريق وظل كل منهم شاردا فيما ستؤول إليه الأمور، هناك أكثر من سيناريو أولها أن يتغلبوا على رئيسة ويمنعونها من الحصول على ذلك الخاتم وحتما سيجدون طريقة لإعادتها إلى داخل البوابة من جديد والثانى أن يلقوا حتفهم فى مواجهة تلك الشيطانة ونسبة حدوث ذلك كبيرة للغاية وثالثها أن يصلوا معها إلى طريق جديد لا يعلمون إلى أين يؤدي، طريق يأخذهم عبر البوابة، فمنذ أن عبر موسى بنصفه إلى داخل تلك البوابة وهو صامت للغاية، لم يخبرهم ما رأه على الجانب الاخر لكنه أصبح متشائما للغاية ويشير من دون أن يتحدث أن نهايتها عاجلا أو آجلا ستكون هناك على ذلك الجانب الآخر حيث

الأرواح العالقة المعذبة والشياطين المتربصة والعديد من الأسرار التى يريد أحد اكتشافها.

وصلوا اخيرا وبعد رحلة استمرت لساعات طويلة، والآن تبدأ رحلة
أخرى ستستمر لساعات إضافية داخل مواصلة أخرى أضيق فى المساحة وأقل سرعة من القطار و سيكون مرافق لهم أهل القرى و الكثير من البط والماعز ورائحة النشادر النفاذة.

توقفت السيارة أمام دار عمران وهبط منها رأفت أولا ثم تبعه موسى وفى الاخير زينب، يتصببون عرقا و قد نال منهم التعب الشديد من طوال مدة السفر، تقدم موسى إلى باب الدار وطرقه برفق، جاء صوت عمران من الدخال وهو يقول: حاضر ..حاضر، دقائق وسأفتح.

انتظروا تلك الدقائق على مضض حتى فتح لهم الباب وظهر من خلفه عمران يرتدى جلبابا أسود وعمامة فوق رأسه وممسكا ببندقيته التى يظن رأفت أنها فارغة طوال الوقت وعمران ممسكا بها فقط من اجل إرهاب لصوص الدواجن والملابس.

فور أن رآهم عمران رحب بهم بشدة وسمح لهم بالدخول ثم أمر أحد أتباعه من الغفر أن يذهب إلى منزل الست روحية ويعود بها سريعا، علم أنهم فى حاجة إلى الراحة و

الطعام فأخبر زوجته أن تعد الطعام وتركهم يستريحوا حتى موعد الغداء.

اتبعت زينب زوجة عمران إلى غرفة أعدت للضيوف النساء داخل الدار بينما اتبع رأفت وموسى عمران إلى مكان اخر قريب أعد لمبيت الضيوف الرجال المندرة، أحضر لهم جلبابين واسعين و تركهما كى يغتسلا ويستريحا ورحل بعد أن أغلق عليهم الباب.

أفاقت زينب على صوت هاتفها الجوال يلح بشدة من أجل أن تجيب، اعتدلت فى نومتها واتجهت إلى حقيبتها وأخرجت الهاتف لتجد على الشاشة إسم حسنين ظاهرا، ترددت كثيرا ما بين الإجابة أو عدمها ثم قررت أن لا تجيب وأغلقت هاتفها ووضعته داخل حقيبتها، طرق الباب ودخلت من خلفه زوجة عمران وهى تقول: الطعام جاهز يا ست زينب، هل حصلتى على قسط من الراحة؟

ابتسمت زينب وقالت: نعم، نلت قسطا من الراحة جيدا، وأنا ايضا اشعر بالجوع الشديد أنهت كلماتها وتبعت زوجة عمران إلى الخارج.

حضر رأفت و من بعده موسى إلى منتصف الدار ليجدوا روحية في انتظارهم وبجانبها زينب، أحضر عمران الطعام بمساعدة زوجته وجلسوا جميعا يتناولن الطعام بنهم.

بعد أن أنهوا واحتسوا الشاى ذي المذاق المميز، جلسوا يستمعون إلى روحية وهى تقول: رئيسة روحها قوية و ظلت عالقة لأنها لم تنته بعد من مهمة ما هامة بالنسبة لها لذلك عندما أتيحت لها فرصة العبور من البوابة عبرت سريعا، أنا علمت ذلك الامر الآن، أراها قريبة وتتبع أحدكم لسبب لا أعلمه.

تعجب موسى وحاول أن يستفهم عن ذلك الامر قائلا: وما هى المهمة العالقة التى تريد أن تتمها ثم تغادر يا ست روحية، ومن الذى تتبعه.

رفعت رأسها وحركت رأسها باتجاه موسى كأنها تراه ثم قالت: إنها تريد الانتقام ممن قتلها، تريد أن تثأر، دائما ما كانت تريد الثأر، قلبها ممتلئ بالحقد والغل، قانطة وغارقة بالذنوب.

أعاد موسى سؤاله الآخر قائلا: من الذى تتبعه رئيسة؟

رسمت روحية شبح ابتسامة على وجهها ثم قالت: بعض الاشياء من الأفضل أن تظل بدون إجابة، أن تظل فى الظلام وطي النسيان، صدقنى، لا تنبش قبر لا تعلم ما بداخله ولا تفتح كتاب لا تجيد قراءته، الظلام صديق وفي للقلوب القانطة.

كلامها كان مبهما للغاية فلم يستوعب أحد ما ترمى إليه، لكنها دائما ما كانت تلقى بتلك الأحجيات فى وجوههم وعلى مسامعم وقد اعتادوا الأمر، لكنها دوما على حق و طوال الوقت تعلم أين الطريق وكيف الخلاص.

تركتهم روحية واتجهت إلى حجرتها التى أعدها لها عمران للمبيت فى تلك الليلة، ظلت تردد هامسة مع كل محنة ترسل منحة، اترك المحنة وتمسك بالمنحة يا موسى، تمسك بالمنحة.

كان على الجميع أن ينالوا قسطا جيدا من الراحة قبل رحلة الغد، الرحلة التى ستقودهم إلى باطن الجبل، عرين رئيسة، الكهف الذي امتلئ رجسا وشرا، وقف عمران وقال : فى الصباح باكرا سترشدنا الست روحية إلى مكان ذلك الكهف، هى وحدها من تعلم مكانه الآن بعد أن فضل أباؤنا إخفاء ذلك المكان عنا خوفا على أرواحنا من أن تُلعن، فى الصباح سننتهى من تلك اللعنة قبل أن تبدأ، وإلا ستبدأ لعنة جديدة أشد قسوة من سابقتها، الآن نرى تجسد لرئيسة أما بعد ذلك سيختفى أحد أطفال قريتنا ولكن تلك المرة من شيطان رئيسة.

ظهرت معالم الهم والخوف على وجهه وهو يتركهم ويتجه إلى غرفة نومه التى تحولت إلى غرفة له ولأطفاله، فهو لا

يتركهم أبدا يغيبون عن ناظره خوفا عليهم من اللعنة حاله كحال جميع اهل القرية.

(4)

من يصل أولا يفوز، قانون قديم أُبطل مفعول قوته، الآن يفوز من يمتلك مضمار السباق وإن وصل أخيرا، الشيطان دائما يصل متأخرا لكنه يسبقك بعدة خطوات لذلك تخسر فى كل مرة.

***

مدت الشمس أطنابها و تجهز الجميع للمغامرة الكبرى المبهمة التى لا يعلمون أين وكيف ستنتهي، بخطوات مترددة وبقلب وجل تحركوا جميعا إلى ذلك الجبل العملاق الذى يسد الأفق، يتبعون الست روحية التى تسير من دون دليل سوى بصيرتها، يتزيلهم عمران ومعه إثنان من الغفر يحمل كل واحد منهم بندقية.

مرت قرابة الساعة ووصلوا إلى سفح الجبل، جلسوا أرضا يلتقطون بعض الأنفاس ويشربون القليل من الماء، اقترب رأفت من الست روحية وهو يقول: أنا لا أرى أية كهوف من حولنا، نحن أسفل الجبل مباشرة.

ابتسمت بهدوء وهى تقول: الكهف فى باطن الجبل، يجب أن نصعد إلى اعلى.

سمعت زينب ما تقوله روحية فتدخلت فى الحديث قائلة:

أنا لا أرى أى طريق لأعلى، هل سنتسلق الجبل، هذا خطر للغاية كما أنك لن تستطيعي ذلك.

باغتتها روحية قائلة: لا أنا ولا أنت سنتسلق الجبل، أنا أرى طريق الصعود بينما أنتم لا ترون، أتعجب دائما من القدر وسلتطه و حيله، سلبت البصر لكننى أرى وأنتم تمتلكون أعين لا تبصر، اتبعوني فليس كل أعمى ضرير.

ابتسمت زينب من قول الست روحية فقالت لها: لم أر ابتسامتك منذ عودتك يا زينب، ورجاء لا تتعجبى وفرى ذلك الشعور عندما ندخل إلى ذلك الكهف.

وقفت روحية والتفت حول الجبل ثم اتجهت إلى جزء ممهد للسير يرتفع تدريجيا حتى يصل إلى باطن الجبل، ارتسمت آيات الخوف على وجه الجميع عندما وجدوا أمامهم فوهة الكهف، شعر موسى أن روحه تسلب منه وأخذ يرتعش وهو يقول: إنها بالداخل، أنا أشعر بذلك، إنها تنتظرنا، هناك أمر ما خاطئ، لنعود أدراجنا.

اقتربت منه روحية وهى تقول: لكننى لا أرى شيئا ولا أشعر بما تقول، لا أحد بالداخل، إنه فقط ذلك الحلم هو ما يطاردك الآن، لا تقلق أنا أملك قوة وحيل أكثر مما أبدو عليه، ثق بى.

تقدمتهم وابتلعها ظلام الكهف، تتبعها سريعا عمران بعد أن

أشعل نارا بقطعة قماش ولفها فوق خشبة محدثا شعلة حتى يستطيعوا الرؤية بالداخل، دخل من خلفه رأفت ثم زينب وهى ممسكة بيد موسى بينما ظل الغفيران خارج الكهف للحراسة.

كلما وجد عمران شعلة منطفئة فى طريقه أشعلها من جديد ليبدد ظلام الكهف، يتحركون ببطء خوفا من الانزلاق او التعرض للدغة عقرب أو ثعبان مستتر بين الصخور، اختفت الست روحية عن أنظارهم ولم يجازفوا بالنداء عليها، هى تعلم طريقها أما هم فلا، وصلوا إلى ستار أحمر ثقيل لكنه ممزق، أزاح عمران الستار وسمح للثلاثة أن يعبروا ثم أعطى الشعلة إلى رأفت بينما ظل هو فى مكانه يراقب.

تحرك رأفت بحذر ومن خلفه زينب تضع يدها على كتفه وممسكة بالأخرى يد موسى الذى كان جاحظ العينين شريد الذهن، بحثوا عن مشاعل اخرى وأخذوا يشعلون النار بها فتشتت الظلام تاركا المجال للضوء يعانق جدران الكهف، الرائحة لا تطاق، مزيج من العطن و الجيفة، والقليل من الأبخرة والروائح الغريبة، دار رأفت حول نفسه بحثا عن الست فلم يجدها وقبل أن يرتفع صوته بالنداء عليها وجدها تجلس بجانب قدميه وهى تقول: رئيسة قتلت الساحر السودانى فوق تلك الصخرة التى تقف أعلاها الآن، الخاتم

قريب، عندما فقدت الخاتم أخذه الخادم وأحضره إلى هنا حيث ينتمى، لقد استخرج الساحر حجر ذلك الخاتم من صخور هذا الكهف الذى نحن بداخله الآن لذلك عندما يفقد يعود إلى هنا من جديد.

أنهت كلماتها ثم صمتت قليلا بعدها ارتفع صوتها بإسم موسى ..موسى، اقترب مني.

فعل موسى ما طلبته منه روحية فقالت: انت فقط يا موسي من تستعطيع ايجاد الخاتم، لسبب ما لا اعلمه لا اراه، ولا نراه جميعا باستثنائك، ابحث هنا بالقرب منا، ستجده ولكن اسرع فهى قريبة للغاية.

***

بعد مرور عدة ساعات من البحث وجد موسى ضالته أخيرا عندما تعثر بحجر عملاق ووقع أرضا مصدرا صوتا مرتفعا، وقف يزيل الثرى عن ملابسه ليجد اسفل قدمه ذلك الخاتم غريب الشكل، كبير الحجم مصنوع من الفضة التى تحتضن حجر أسود يتخلله بعض اللون الأحمر كشريان دماء متفرع، يلمع بشدة، قبض قلبه للحظات قبل أن يحمله ويمسح الحجر الاسود ليزداد بريقا فوق بريقه، ارتفع صوت روحية وهى تقول موجهة كلامها إلى موسى الذى شرد: كان مقدرا لك أن تجده كما توقعت، لكن لا يغرنك لمعانه ففى باطنه

خادم من أعتى المردة، يدين بالولاء دائما للشر ولا شيء سواه، احترس من الأمانة التى تحملها حتى نكتشف ما الذى سنفعله به بعد ذلك.

شعرت زينب بضيق فى النفس وفى الصدر فقالت : حسنا لقد وجدنا الخاتم، لنعود ادراجنا قبل ان يحدث لاحدنا مكروه، انا اشعر بالخوف الان اكثر من أى مرة سابقة، أرجوكم هيا بنا لنذهب.

قاطعتها روحية وهى تقول: لا لن نفعل، مازال لدينا أمر هام لنفعله قبل أن نرحل، ابحثوا اسفل تلك الصخرة، احملوها سويا واحترسوا جيدا حتى لا تسقط على قدم أحدكم، موسى كان هنا من أجل الخاتم أما أنا فقد أتيت هنا من أجل ما ستجدونه أسفل تلك الصخرة.

وضع موسى الخاتم فى جيب بنطاله ثم تحرك باتجاه الصخرة وتبعه رأفت، انحنى الإثنان وحاولا رفع الصخرة لكنها كانت أثقل مما يظنون، ارتفع صوت رأفت مناديا على عمران وهو يقول: عمران، عمران، رجاء تعالى إلى هنا كى تساعدنا فى حمل تلك الصخرة.

اقترب عمران بتوجس ثم انحنى هو الاخر ممسكا بالصخرة، قال موسى: سنفعلها سويا ونلقيها فى الاتجاه المعاكس حتى لا تسقط على أحدنا، أومأ رأفت وعمران

بالموافقة فأكمل موسى: واحد، إثنان، ثلاثة، ارفعوا سويا.

رفع الثلاثة الصخرة وألقوها فى الاتجاه المعاكس لتسقط ويدوى صوتها عاليا، نظروا إلى مكان الصخرة ليجدوا حفرة أسفلها وهنا شيء ما لم يتبينوه، أحضر عمران شعلة النار وقربها من تلك الحفرة واقترب معه الجميع ليجدوا الكثير من الأقمشة و الصور والأقفال وجلود حيوانات مرسوم عليها الكثير من الطلاسم و الكلمات الغير مفهومة.

تراجع الجميع فى خوف بينما وقفت روحية واقتربت من تلك الحفرة ثم جلست أمامها وهى تقول: تلك هى مهمتى هنا، ما ترونه داخل تلك الحفرة عبارة عن أعمال سفليه لأناس أبرياء منهم من عاش ومات معذبا ولم يستطع أن يتخلص من ذلك العمل ومنهم مازال يتعذب حتى الآن جراء تلك الأعمال وآخرون ورثوا تلك اللعنات عن طريق أبويهم، يجب علي أن أفك تلك الأعمال قبل أن أرحل.

ظهرت معالم الخوف على زينب وقالت: حسنا لنحمل تلك الاشياء معنا إلى القرية وتقومين بفكها هناك.

حركت روحية رأسها يمينا ويسارا بعدم الموافقة وهى تقول: لا، يجب أن تفك هنا كما عقدت، لا سبيل لفكها إلا بنفس المكان الذى أعدت فيه.

شعر رأفت بالفضول حول تلك الأعمال فقال: هل تلك الأعمال من صنع رئيسة؟

أجابته روحية: بعضها من صنع الساحر السوداني والأكثر من صنع رئيسة، هناك أناس لا ذنب لهم، يجب أن نساعدهم، إن أردتم الرحيل فارحلوا فأنا أعرف طريق العودة أكثر منكم وإن أردتم البقاء فابقوا ولن يحدث إلا ما كتب.

ارتفع صوت عمران قائلا: لا سنبقى معك يا ست روحية، لن نتركك هنا، كما أن تلك الأعمال أضرت بأهل قريتنا لزمن طويل، كم سيستغرق فك تلك الأعمال؟

أجابته روحية وهى تمسك بجلد أحد الحيوانات: قرابة الخمس ساعات.

وضع موسى يده على جيب بنطاله مكان الخاتم كى يطئن على وجوده كما تركه وهو يقول: إذا سيحل الليل علينا هنا وهذا خطر للغاية، إن لم يكن من رئيسة فمن الذئاب والحيوانات الضارية.

وضع عمران يده على كتف موسى وقال: لا تقلق يا موسى، اترك لنا أمر الذئاب و تولوا أنتم أمر رئيسة وخاتمها الذى تبحث عنه، أنا والرجال سنتكفل بالأمر خارج ذلك الكهف وعليكم أنتم بمن في الداخل.

أنهى كلماته ثم أمسك بأحد المشاعل وتحرك فى اتجاه الممر الذى يؤدي إلى مخرج الكهف حيث الغفيرين بالخارج، نظر إلى السماء فوجد الشمس وقد قاربت على الرحيل، أمر رجاله بأن يحضروا أغصان الشجر من أى مكان قريب بينما هو أخذ يجمع الصخور ويصنع دائرة كبيرة الحجم، اتجه كلا منهم فى اتجاه مختلف بينما وقف هو يراقبهم جيدا من بعيد.

دقائق وعاد كل منهم بعدة أغصان وضعوها داخل تلك الدائرة وأشعلوا بها النيران على مدخل الكهف كى يبعدوا أى تهديد قادم من الذئاب أو أي من الحيوانات الضارية التى تنتشر فى ذلك الوقت من الليل وتخرج من جحورها وكهوفها بحثا عن فريسة لها.

فى سريرة الكهف الملعون طلبت روحية من رأفت أن يبحث لها عن إناء و أخبرت زينب أنها تريد بعض من الماء الذى بحوزتها بينما أشارت إلى موسى أن يجلس بجوارها ليساعدها فى شيء آخر ستخبره به بعد قليل.

وضعت روحية قطعة الجلد داخل الإناء بعد أن ملئته بالمياه وبدأت فى نزع الدبابيس المنتشرة على سائر أنحاء قطعة الجلد وهى تقول: بماذا تشعر يا موسى عندما انزع تلك الدبابيس المغروسة.

نظر لها موسى بتعجب وقال: اشعر أن هناك أحد ما يراقبنا عن كثب، وأرى عندما اغمض عينى قدم تسيل منها الدماء وصاحبها يتألم بشدة ويصرخ من دون فائدة فلا طبيب قادر على علاجه ولا أحباؤه بيدهم حيلة لراحته.

ابتسمت روحية وأكملت نزع الدبابيس حتى انتهت ثم فردت قطعة الجلد واخرجت من داخلها حجاب بداخله صورة أحدهم، تعجب موسى عندما رأى وجه ذلك الرجل وقال: إنه نفس الرجل الذى أراه عندما أغمض عيني، هذه صورته فى الماضى لكنه أكبر سنا الان.

أومأت روحية برأسها بالإيجاب وأكملت فك الحجاب ثم بدأت بنطق عدة كلمات غير مفهومة للثلاثة بعدها قالت: حسنا ماذا ترى الآن يا موسى، اغمض عينيك وأخبرنى؟

أغمض موسى عينيه للحظات ثم قال: لقد وقف نزيف القدم وانتهى صراخ الرجل، لقد توقف عذابه.

اتسعت بسمة روحية وهى تقول: لذلك علينا أن نكمل فك كل تلك الاعمال مهما كلفنا الامر، لقد عانوا بما فيه الكفاية، هل علمتم الآن كيف هى ترتيبات القدر، جعل من عجوز ضرير سببا لعلاج كثير.

انقضت ساعات طويلة من الحرص والترقب أمام فوهة

الكهف، ظل فيها عمران ورجاله متأهبين لأى خطر قادم وهم ممسكين ببنادقهم ويحتمون خلف تلك النيران، عواء الذئاب اصبح قريبا للغاية، يرون أوجه الذئاب خلف تراقص أطراف النيران، أطلق عمران عيار نارى فى السماء كي يبعد ذلك القطيع من الذئاب الذى تجمع حول دائرة النار والتى اوشكت على الاندثار، وقف عمران وبجانبه الغفيران فى وضع الدفاع الاخير.

رسمت آيات الفزع على وجوههم عندما وجدوا إمرأة بجسد مشتعل تقف على الطرف الآخر من دائرة النار ومن خلفها الذئاب كأنهم تابعون لها، تحركت فى اتجاه عمران ورجاله وخطواتها تزداد سرعة ثم صرخت بصوت مرتفع فأصابهم الفزع، هرب الغفيران وتبعهما الذئاب وظل عمران واقفا على باب الكهف كحارس أمين، شجاعته نادرة للغاية، نظراته الثابته توحى بصلابة وقوة، اشتعل جسدها بقوة وهى تقترب منه أكثر، رفع بندقيته موجها إياها إلى رأسها وهو يقول: لن تصلى إليهم أيتها الشيطانة ما دمت أنا على قيد الحياة، لعنتك يا رئيسة لن تصيبنا من جديد، عودي من حيث أتيت، عودي إلى جحيمك أيتها اللعينة.

وضعت رئيسة يدها على فوهة البندقية التى بدأت فى الانصهار، اطلق عمران عيار نارى فلم يكن له تأثير، انطفأت

نارها وظهرت ملامحها الجميلة ثم ابتسمت له وهى تقول : سأتركك تحيا إن تنحيت جانبا الآن.

لم يتحرك قيد أنملة وقال : لن تعبرى.

نظرت داخل عينيه وهى تقول: شجاعتك استثنائية، ولكن لديك نقطة ضعف، هم أبنائك، لذلك سأقتلك فى النهاية، بعد أن أقتلهم جميعا وبعد أن أحرق قلبك على أحد أبنائك ولتكن ابنتك.

ظهرت معالم الغضب على وجهه لكنه لم يتراجع أو يهتز طرفة عين وقال: لن يحدث، لا يؤثر بي تهديدك.

اتسعت عيناها وهي تقول: بعد حصولي على الخاتم أول ما سأفعله هو سلبك إياها.

أنهت كلماتها ثم اشتعلت نيرانها مجددا وأمسكت بعمران ثم ألقته بعيدا كخرقة بالية، وقع أرضا بعيدا عن الكهف واصطدمت رأسه بحجر ما ففقد الوعى على الفور، بينما دخلت هى إلى الكهف وهى تصرخ.

سمع الجميع صوت صراخها، هرولت زينب ووقفت خلف موسى ورأفت وهى ترتعش وقد بدأت دموعها فى الانسياب على خديها، أخرج موسى الخاتم ووضعه داخل قبضته وضمها بشدة، أمسك رأفت بشعلة إضافية وهو يقول: يجب

أن نرحل الآن يا ست روحية، إنها فى طريقها إلينا الان، رئيسة إن حصلت على الخاتم ستعود إلى الحياة من جديد وستعود إليها قوتها، هل انتهيت؟

بصوت يشوبه القلق قالت روحية: نعم لقد انتهيت الان، علينا أن نتجاوزها من دون خسائر، يجب ألا تسترد خاتمها يا موسى.

تقدمهم رأفت بالشعلتين وتبعه موسى متمسكا بالخاتم وزينب وفى النهاية روحية، رأى رأفت نار قادمة فى اتجاههم فعلم أنها تخطت عمران ورجاله والآن باتت المواجهة حتمية، تأهب جيدا لما سيلاقيه، صوتها وهى تتحدث بكلمات غريبة أفزعهم بشدة ثم سرعان ما تحول إلى كلمات مفهومة وهى تقول: الخاتم ملك لي، علمت أنكم ستصلون إليه قبلي، مازال لدي مهام معلقة وثأر واجب النفاد، أكمل ما بدأته وأعطنى الخاتم، لقد مكثت فى الجحيم كثيرا واكتسبت الكثير من طرق الإيلام لقد أصبحت خبيرة فى إيلام كل من حولي، الخاتم الان.

انتفض جسد الجميع عندما وجدوها أمامهم بجسد مشتعل، تمرر يديها على جنبات الممر فتذيب الصخور وتحدث شرر، كأنها حمم بركانية متشكلة على هيئة إمرأة، وقفت تسد طريق الخروج وقد مدت يدها إليهم، هدأت نارها

لتتضح ملامحها الأنثوية الجميلة، تحرك موسى من خلف رأفت فى اتجاهها وسط تعجب من زملائه، أمسكت روحية بتلابيبه وهي تقول: لا يا موسى، لا تفعل رجاءا.

انطفأت نار رئيسة بالكامل لتصبح أنثى شديدة الجمال، مازالت يدها ممتدة فى انتظار أن يضع موسى الخاتم على كف يدها، مد موسى يده وقبل أن يعطيها الخاتم دوى صوت إطلاق نار من خلف رئيسة فأصابها لكنها لم تتأثر كثيرا بل بدأت ملامح وجهها بالتغير من الجمال إلى القبح، انه عمران من أطلق النيران عليها وهو يقف خلفها، يقف فى وضع مزرى وهناك دماء متجلطة على وجهه من أثر صدمته بالحجر، أطلق عيار آخر فانتحت متألمة، استغل رأفت تلك اللحظات و اندفع فى اتجاهها ليرتطم بها ويوقعها أرضا بينما هرولت زينب وهى تجر روحية خلفها وأمسكت بيد موسى الممتدة لتسحبه معها فى طريق الخروج، وقف رأفت بسرعة وألقى أحد الشعلات عليها فتفادتها وبدأ جسدها بالاشتعال وهى تصرخ.

هرول رأفت ومن أمامه عمران حتى وصلوا إلى فوهة الكهف ليجدوا زينب و موسى وروحية فى انتظارهم، الظلام كان سيد الموقف بعد أن انطفأت شعلاتهم، تتبعوا روحية فى طريق العودة، يسمعون صراخها بين حين وآخر فترتعد

فرائسهم ثم يعم الصمت الصحراء.

قبل أن يهبطوا على ذلك الطريق المؤدي إلى أسفل الجبل سقطت من السماء مشتعلة أمامهم، وقع الجميع أرضا من هول المفاجأة، صرخت بوجههم فوضعوا أيديهم على آذانهم من شدة الصوت، اقتربت فى اتجاه موسى وأمسكت بيده فصرخ من شدة الالم، وقع الخاتم من يده، تنحت وأمسكت بالخاتم، أصدرت ضحكة مدوية وهى تنظر إلى الخاتم بتركيز كبير ثم نظرت إلى موسى وابتسمت رغم وجهها المشتعل استطاع ان يميز ابتسامتها، وقبل أن يفعل شيء بدأت روحية بالتمتمة بكلمات غريبة، جعلت من رئيسة تتراجع بعيدا عنهم فى ألم، اختفت بسمتها ثم اختفت النار من جسدها، ارتدت الخاتم ثم تلاشت فى الظلام وكأن شيئا لم يكن.

كان الجميع ملقى أرضا فى خوف وأسى، لقد حصلت على الخاتم ولن يردعها أحد الآن، فقدوا أثرها ولا يعلمون مخططها القادم، أسرعت زينب إلى موسى ولفت موضع الحرق بقطعة قماش بعدما بللتها، نهض عمران وقد شعر بخيبة امل فبعد كل ذلك العناء فشلوا فى ردعها والآن تعود اللعنة و تطول نيرانها الجميع.

***

دخلوا الدار وهم يجرجرون خيباتهم خلفهم، متعبون للغاية والإرهاق قد نال منهم ما ناله، سمعوا صوت بكاء قادم من أحد الغرف، هرول عمران إلى مصدر الصوت ليجد زوجته تحتضن أبناءه وهى تبكى، من النظر إليها علم الأمر لقد اختفت إحدى بناته، لقد نفذت رئيسة تهديها له وسلبته ابنته الغالية.

انقضت الليلة ما بين صمت وحزن وكان الخوف ثالثهما، صرخت زينب كلما غفت بعد أن تفيق على كابوس ينال من قدرة عقلها على التحمل، بينما ظل موسى ساهرا طيلة الليل متأثرا بألمه البدنى والنفسى، قضى الليل يفكر فيما ستؤول إليه الأمور أما روحية فكانت جالسة أرضا تعبث بتلك العصاية الرفيعة فى الارض وهى تتفوه بكلمات لا معنى لها ولم يحاول أحدهم سؤالها عن المعنى.

صب رأفت جل تركيزه فى محاولة إيجاد حلول، دائما ما يكون هنا حل لكل معضلة، هناك تفسير لكل ظاهرة، لا مجال للخطأ من دون إتاحة الفرصة لإصلاحه، ليس هناك معادلة مستحيلة، هناك فقط معادلات معقدة وأخرى شديدة التعقيد، هكذا علمته الحياة دائما، دائما هناك مخرج لكل شيء، دائما هناك صباح بعد كل ليل، دائما هناك شيئ منقوص عليهم إكماله.

وقبل أن تشرق الشمس من جديد لتعلن عن صباح آخر حزين كانوا قد غفوا جميعا قصرا فقد تغلب عليهم التعب و انتزعهم النوم من تفكير مضني، للقدر أحكامه النافذة وإن أبى الجميع.

إنها التاسعة صباحا وقد أعد كل منهم نفسه لاستكمال الجولة الثانية من القتال، تلقوا هزيمة ساحقة و تلقوا ضربة قاسمة، لكن لديهم فرصة اخيرة فى استعادة الأمور إلى نصابها الصحيح وإرسال رئيسة إلى جحيمها المستعر.

ودع عمران زوجته وأوصاها بأن تكون حذرة حتى عودته، وصلت السيارة التى ستقلهم إلى محطة القطار، ركبوا جميعا وانطلقت السيارة فى طريقها مرورا بطرقات القرية الخاوية على عروشها، الجميع يستتر داخل بيته اتقاءا لشر رئيسة، لقد سمعوا جميعا صرخاتها المتكررة أثناء الليل، حتى الأصم سمع صوتها فى تلك الليلة.

وصل القطار متأخرا كعادته التى أصبحت حق مكتسب للسائق ودائما ما يلقى باللوم على أعطال مفاجئة أو خلل ما فى القضبان أو حتى غزو فضائى حال بينه وبين وصوله إلى المحطة فى الميعاد المقرر له.

***

داخل تلك الغرفة المميزة جلسوا جميعا بهدوء و كان لكل منهم سبب فى مطاردة رئيسة والتخلص من تلك اللعنة التى تهددهم جميعا، فلدى عمران سبب قهرى وهو اختطاف ابنته من قبل شيطانة عائدة من الجحيم بينما تريد روحية الخير فى كل الأحوال، هكذا أرادت دائما، أينما يوجد الشر توجد روحية لردعه والمساعدة فى دحره.

رأفت أيضا يريد عودة الاستقرار إلى حياته واستئناف مشاهدة أفلام الرعب، لقد علم الآن أن مدى الفارق بين رؤية الأشباح عن قرب أو من خلف شاشة زجاجية وعلم أيضا مدى ضعف الأفكار المطروحة داخل كل فيلم ويبدو أنه عيب فى كتاب السيناريو أو في مخرجي تلك الأفلام.

أما زينب فهى تريد أن تعود إليها الطمأنينة وأن تنام ساعة من دون كابوس يتعلق برئيسة، لم تعد تحتمل فكرة رؤيتها من جديد، لعنت اليوم الذي حضروا به جلسة تحضير الأرواح، عندما أخطأ موسى واستفز الروح فتسبب بتلك الكارثة التى مازالت توابعها تطاردهم حتى الآن، كابوس دائم وبوابات من الجحيم تفتح فى وجوههم عمدا و تريد فقط عودة روتين حياتها الممل.

تعقدت الأمور كثيرا الآن، فقدوا طرف الخيط الذى يقود إلى رئيسة، معلوماتهم شحيحة للغاية عن رئيسة، فهم دائما

ما يقومون بحل تلك القضايا عن طريق ثلاثة محاور:

أولا: محاولة تحليل الجرائم القديمة ومعرفة الدافع ورائها.

ثانيًا: محاولة معرفة سبب غضب الروح من أجل معالجته والقضاء عليه تمامًا.

ثالثا: محاولة منع الروح من ارتكاب جرائم جديدة.

وهم لا يمتلكون إلا المحور الاول، هم علموا مسبقا أنها تقتل الاطفال كرها لهم لأنها لا تنجب أما عن المحور الثانى والثالث فهم ليسوا على دراية بأى شيء.

بينما كان كلا منهم شاردا فى فلكه يدور ككوكب ضال يبحث عن مجموعته الشمسية أو نجم ما يتبعه، دوى صوت هاتف زينب الجوال فالتفت الجميع إلى مصدر الصوت، أمسكت زينب بحقيبتها وأفرغت محتوياتها الكثيرة على أريكة كانت تجلس عليها عندما عجزت عن الوصول إلى الهاتف، حاول رأفت مساعدتها وهو يقول: ما كل تلك الاشياء، مرآة، مرآة أخرى، علبة ميك آب، محفظة، ها هو، لا إنه هاتف لا يعمل، مرآة ثالثة، لا هذا كثير.

فور أن انتهى من تلك الكلمات عثرت زينب على الهاتف لتجد إسم حسنين على الشاشة، ها هو الامل يعود إليهم من جديد، نظرت إليهم وهى تقول: إنه حسنين، حسنين يتصل.

أشار لها موسى أن تجيب وهو يقول: أجيبي على مكالمته وافتحى مكبر الصوت كى نستمع جميعا إلى ما يقال.

أجابت زينب مسرعة وهى متصنعة النعاس وقالت بصوت خافت: مرحبا يا حسنين، كيف حالك؟ هل توصلت إلى شيء جديد بخصوص ملف رئيسة؟.

جاء صوت حسنين عبر الهاتف قائلا: حاولت أن أتصل بك كثيرا لكن هاتفك كان مغلق، أردت أن أخبرك أننى أنهيت قراءة الملف الخاص برئيسة، هل مازلت مهتمة بزيارة تلك القرية التى أخبرتك عنها فى الصعيد؟.

أشار لها رأفت أن تجيبة بالإيجاب فقالت: نعم وأنتظر أن تصطحبنى إلى هناك، متى يمكننا فعل ذلك يا حسنين؟.

جاء صوته عبر الهاتف وهو يقول: لا لن نفعل، لن نحصل على إجابات هناك فى الصعيد لأنها هربت من أهل تلك القرية وأكملت حياتها فى مكان آخر حتى ماتت حرقا.

سألته زينب سريعا: أين ذهبت بعد تلك القرية؟ وكيف ماتت؟

استغل حسنين كعادته فضول زينب كي يحصل منها على ميعاد لمقابلته وهو يقول: زينب سامحينى لن أستطيع

إخبارك بتلك التفاصيل الآن فأنا لدي عمل كثير أقوم به، سأنتظرك اليوم فى نفس المكان الذى نلتقى به دائما، موافقة؟

ظهرت علامات الاشمئزاز على وجه زينب ونظرت إلى صديقيها فوضع رأفت يده على صدره محايلا إياها أن توافق، جاء صوت حسنين عبر الهاتف من جديد: موافقة؟

ردت عليه والكلمات تخرج من فمها قسرا: موافقة.

أغلقت الهاتف وارتمت فوق الأريكة وهى تعانى وتقول: مقابلته بالنسبة لي كابوس يضاهى مقابلة رئيسة.

أنهى مشروبه و ظل يرمقها بوله، إنه متيم بها حد الثمالة، تركته يبنى آماله و يروى ظمأ عشقه راسمة نفس الابتسامة البالستيكية التى تعد مفتاح لا يصدأ أبدا و مدخل دائم إلى قلب حسنين.

أنهت قهوتها ثم أصدرت فرقعة بأصابعها كى تنتزعه من شروده، عاد إلى الخلف وأخذت عيناه فى الاهتزاز ثم ابتسم لها وهو يقول: هل اطلب لك شيء آخر بخلاف القهوة؟

أمسكت بيده كي تسرع من عملية استخلاص المعلومات، ضغطت على يده بلين وهى تقول بغنج: هل نستكمل حوارنا عن رئيسة؟

سرت القشعريرة عبر الوريد حتى وصلت إلى قلبه وهو يقول: تعلمين اننى لا أؤمن بالماورائيات ولا أي من ذلك الكلام الفارغ عن الأرواح والجن والعفاريت والفضائيين؟ صحيح؟.

حاولت مجاراته لكنها علمت أن خلف تلك الكلمات سر خطير فقالت: نعم أعلم أنك لم تنجذب قط إلى الخيال والماورائيات، لكن ما الذى دفعك لسؤإلى عن تلك الاشياء.

تعرق جبينه فأخرجت منديل من حقيبتها و جففت عرقه بود وهى تنتظر الإفصاح عن ما يخفيه فقال: أتذكرين ذلك اليوم فى مقر عملى عندما طلبت منك المغادرة؟

أومأت برأسها بأنها تتذكر فأكمل: أتى العقيد عبدالرحمن وطلب رؤية ملف رئيسة وتفحصه بنفسه وظهر على وجهه الخوف وعندما سألته عن سبب بحثه عن ذلك الملف تحديدا قال شيئا ما يتعلق بلعنة حلت على قرية فى الصعيد خلال القرن الماضى ويعتقد أنها تعود بعد أن رأى أهل القرية رئيسة تتجول بين أروقة القرية وتصرخ، وعندما سألته عن اهتمامه الكبير بذلك الامر علمت ولأول مرة أنه نشأ فى تلك القرية عندما كان صغيرا ويعلم جيدا عن تلك القصة التى يتناقلها جيل عن جيل، شيء أشبه بالموروثات الشعبية.

صمت وظهرت عليه معالم الخوف لدقائق ثم عاد ليكمل حديثه وهو يقول: بعد أن رحل العقيد وأمرنى أن أحافظ على ذلك الملف جيدا جلست أستكمل قراءة الملف وأدقق فى كل المعلومات بداخله، جاء وقت الانصراف فأخبرت زميلى بالعمل حلمى أننى سأمكث ساعة إضافية لأنهى بعض المهام المتأخرة فعرض علي المساعدة فأبيت وتحججت بأن المهام ليست بالكثيرة، غادر ومكثت أنا لأنهي قراءة الملف.

بدأت عيناه تذرف الدموع لكنه ظل حابسا إياها من أن تسقط فيسقط معها ستار القوة أمام زينب، أمسك بكوب ماء كان موضوعا أمامه وتجرعه على دفعة واحدة ثم هدأ قليلا وقال: انتهيت من قراءة الملف وأعدته إلى مكانه بجانب الملفات شديدة السرية وتوجهت إلى السلالم، رأيت شيئا ما يقف فى الظلام بالقرب من السلالم، ثم ببطء عاد إلى الظلام، شعرت بخوف لم أشعر به من قبل، صعدت السلالم بهدوء وتوجس، حتى وصلت إلى آخر درجة والتفت كى أثبت لنفسى ان ما رأيته ما هو الا أوهام و تخيلات، لكننى كنت مخطئ، رأيتها تقف أسفل السلالم، لم يكن خيال تلك المرة بل كانت إمرأة بملابس قديمة تقف هناك، هرولت إلى باب الفيلا وأنا أشعر بنار اندلعت داخل قفصى الصدرى وكادت أن تلتهم قلبى من هول ما رأيت، سقطت وأصيب كاحلى لكننى تحاملت وخرجت من الفيلا وأغلقت خلفى وأكملت عدوى

ولم أتوقف إلا بعد أن أصبحت وسط جمع غفير من الناس، لم أخبرك يومها خوفا من ألا تصدقينى، لم أنم طيلة الليل خوفا من أن أراها عند باب غرفتى عندما أفيق فى منتصف الليل.

سقطت دمعة سهوا رغم حرصه على ألا يحدث ذلك الامر، ابتلع ريقه وهو ينظر إلى زينب بإحراج وكسوف كبيرين فقالت له: وهل ما حدث جعلك تؤمن الآن بالماورائيات ؟

ارتعشت يده بين يديها فضغطت عليها بهدوء كى تطمئنه، صمت ثوانى ثم قال: لا أعلم، أنا لم أمر بشيء مماثل طوال حياتى، لكن إن كان الأمر حقيقى فأنا لا أريدك أن تكملى فى البحث خلف قصة رئيسة، أخشى ان يصيبك مكروه، أنا مازلت لا أؤمن بامكانية عودة الموتى إلى الحياة او تجسد أرواحهم مرة اخرى لكن هناك جزء ما داخل عقلي يعلم جيدا أن ما رأيته حقيقة لا جدال فيها، رجاءا لا تكملى بحث خلفها، مهما كان سبب بحثك الدؤوب خلفها أرجئي كل مخططاتك.

سحبت يدها برفق ممتعضة من قوله وهى تقول: إن كنت لا تريد إخبارى ببقية المعلومات عن رئيسة فهذا يعود لك، على أن ارحل.

أمسك بيدها و حثها على الجلوس وهو يقول: لا أنا أريد

اخبارك ولكن.... حسنا سأخبرك ولكن لدى طلب أولا.

ابتسمت مرة اخرى وقالت: و ما هو ذلك الطلب.

نظر إلى عينيها مباشرة وقال: لما تريدين معرفة كل تلك المعلومات عن رئيسة ؟

لم تنتزع عينيها من مكانهما وقالت بنبرة تحذيرية: بعض الأمور من الأفضل ألا يعلمها الجميع وبالأخص من لا يؤمنون بالماورائيات، أخبرنى يا حسنين، هل تريد رؤية شبح رئيسة من جديد؟

عاد بظهره إلى الخلف وقد رسمت كل مظاهر الرعب على وجهه وقال : لا.. لا أريد أن أتعرض لمثل تلك الامور مرة ثانية.

أمسكت بخصلة من شعرها ووضعتها خلف أذنها وهى تقول: حسنا أخبرنى ولا تسألنى مرة أخرى عن سبب بحثي الدائم عن القتلة والسفاحين وهناك أمر ما أخير لا تنطق بإسمها كثيرا فهى تستمع، اتفقنا ؟

أومأ برأسه وأردف قائلا: اتفقنا، سأخبرك، رئيسة ثم نظر حوله فى خوف وأكمل من دون أن ينطق بإسمها من جديد: جاء فى الجزء الاخير من الملف عن تلك السيدة، بعد أن لعنت القرية وطاردها أهلها، تمكنت من الهروب إلى

الاسكندرية وتباينت الأقاويل حول مصيرها، فهناك معلومات تقول أنها مكثت هناك تعمل بالسحر وتقتل طفلا مرة كل عام إرضاء للجان الذى يخدمها وأن الشرطة اكتشفت ذلك الامر فهربت ولم يعثر عليها احد بعد ذلك وهناك معلومات مدعمة بالصور تقول أنها أخفت هويتها وعملت مربية فى ملجأ تابع للحكومة يسمى الملجأ العباسى الذى احترق بعدها بفترة قصيرة ومات كل من به من الاطفال والمربيات ولم يعلم أحد وقتها سبب اندلاع الحريق وكم هو عدد الضحايا وهل من بينهم رئيسة أم لا.

تهللت أسارير زينب وطبعت قبلة على خد حسنين، أمسكت بحقيبتها ثم غادرت تاركة إياه ينظر لها بتعجب وهو تاركا يده على خده الأيمن مكان القبلة التى لم يتوقع أن ينالها فى يوم من الايام، وقف وتحرك خلفها مسلوب الإرادة فسمع صوت أحدهم يقول: حساب المشروبات يا استاذ.

أفاق من غفلته ثم وضع يده فى جيب بنطاله وأخرج ورقة من فئة مئة جنيه وأعطاها إلى الشاب وتركه وغادر غير مهتم بندائه عليه وهو يقول: باقى النقود يا أستاذ .. باقى النقود... يا أستاذ حسنين.

الباب الثالث

المواجهة

(5)

التجارب تكسبك الخبرات فى عالمنا المادى المحدود، أمام التجارب فى عالم الماورائيات يكسبك أعداء جدد حيث لا مفر من مواجهتم فى جولة واحدة بفائز واحد.

***

رائحة اليود ملئت صدورهم المكتظة بدخان عوادم السيارات المتاخمة للعاصمة القاهرة، شعور بالراحة ينتاب المرء عندما يرى أمواج البحر تتلاطم فيما بينها ثم تستقر على الشاطئ الرملى ذهبى اللون، تتخلل آشعة الشمس المياة فتتلألأ كقطعة من الماس فى أعين الناظرين، ابتسمت زينب لا إراديا فور ظهور سطح البحر أمامها عبر زجاج السيارة ونظرت إلى رأفت الذى بادلها الابتسامة مجاملا ثم عاد إلى جديته، توجهت بعينيها إلى موسى لتجده شاردا طوال الوقت وبجانبه عمران لا يفكر سوى بابنته وحالها الآن، وفى الخلف كانت تجلس ثابتة لا تتحرك كصنم انتهى للتو أحد أعظم النحاتين من نحته.

عادت إليها الجدية واختفت بسمتها من جديد، وصلوا إلى شقة ما تطل على البحر مباشرة كان قد استأجرها رأفت عن طريق أحد معارفه بثمن مناسب لعدة ليال حتى يفرغوا من ذلك الأمر الذى يجثم على صدورهم فيسبب لهم الاختناق.

اصطحب رأفت موسى إلى الشارع كى يحضروا بعض المستلزمات والطعام الذى سيحتاجونه في إقامتهم المؤقتة، بعد مرور ثلثى الساعة كانوا قد انتهوا من شراء كل شيء، وقعت عين موسى على جريدة اليوم وقد كتب فى الصفحة الرئيسية بخط كبير وواضح حالة من الخوف تسود الشارع المصرى وبالأخص محافظة الاسكندرية نتيجة اختفاء الأطفال المنتشر.

أمسك موسى الجريدة ودفع ثمنها إلى صاحب الكشك وأخذ يتفحصها وهو يقول: رأفت ألق نظرة على ذلك الخبر رجاءا.

اقترب رأفت وأكلموا سويا قراءة الخبر الذى جاء به تلقت أقسام الشرطة خلال الثمان وأربعين ساعة الماضية عشرات البلاغات عن اختفاء مفاجئ للأطفال مما تسبب فى ذعر كبير للمواطنين وجعل المواطنين يغلقون على أنفسهم منازلهم خوفا على أبنائهم من ذلك السيناريو المفزع.

نظر الإثنان إلى بعضهما البض وقال موسى: إنها رئيسة،

عادت وهى تريد الانتقام، علينا إصلاح الأمر قبل فوات الاوان، يجب أن نعثر عليها سريعا قبل أن نجد جثث الاطفال ملقاة فى كل مكان من دون رؤوس.

شعر رأفت بأن الوقت يضيق فقال لموسى: لنعود إلى البقية ونخبرهم بذلك الأمر الذى يتعلق بالخطف ونفكر سويا عن تلك الأماكن المحتملة أنها تحتجز الأطفال بها.

***

جلسوا جميعا على شكل دائرة مغلقة وقال رأفت: يجب أن نرتب أفكارنا و أن نفند معلوماتنا حتى نعلم ما هى الخطوة القادمة لنا وتجنبا لضياع الوقت، رئيسة الآن تحتجز هؤلاء الاطفال الأبرياء ولا نعلم حقا ما الذى تريد فعله، على كل منا أن يتذكر كل التفاصيل التى نعلمها عنها.

صمتوا جميعا لبرهة من الوقت ثم قال موسى: مصدر قوتها هو الخاتم، لم يحدث أى شيء قبل حصولها عليه فى ذلك اليوم المشئوم.

ثم عاد الصمت من جديد ليقطعه رأفت وهو يقول: قال حسنين لزينب أنها عملت فى ملجأ العباسي وهذه معلومة فى غاية الأهمية فمن الممكن أن تكون هنا الآن، لكننا لا نعلم كيف نصل إليه بعد أن احترق ولا نستطيع أن نطلب

المساعدة من الشرطة وإلا تورطنا فى قضايا الخطف ووجهت لنا كل التهم، فبالتأكيد لن يصدقنا أحد.

قال عمران محاولا المساعدة: كبار السن، وحدهم من يستطيعون مساعدتنا، من تخطى عمره السبعين سنة يعلم جيدا أين كان ذلك الملجأ ؟

ظهرت علامات الأمل على وجوههم جميعا، أخرجت زينب هاتفها الجوال وقالت: أيضا يمكننا البحث عن الملجأ العباسى عن طريق الانترنت، لم لم نفكر فى ذلك الأمر.

كتبت على محرك البحث الملجأ العباسي فظهرت بعض المعلومات الغير متماسكة عن حريق الملجأ ووفاة الكثير من الاطفال بداخله ومن ضمنهم أكثر من مسئول ومربيتين ولم يعلم أحد قط عن سبب حرق ذلك الملجأ، لكن هناك معلومة تفيد عن مكانه .

تهللت أسارير زينب وهى تكمل قراءة وقالت: لقد علمت أين كان يقع ذلك الملجأ يا رأفت، إنه قريب من هنا، انظر إلى ذلك التطبيق يخبرنا أنه يبعد عنا نصف ساعة فقط.

لم تتحدث روحية قط منذ أن بدأوا النقاش وظلت صامتة، نظر إليها موسى وقال: لما أنت صامتة يا ست روحية، هل تخفين أمرا عنا؟ أنت لم تشاركينا الحديث قط.

توجهت روحية برأسها إلى موسى ثم جاء صوتها حزينا وهى تقول: أنا أعلم ما الذى تريده رئيسة؟ لكننى لا أعلم اين تجدونها قبل أن.... قالت تلك الكلمات ثم صمتت.

ارتجف قلب عمران خوفا على ابنته وقال: ما الذى تريده رئيسة؟ اخبرينا قبل فوات الاوان.

أخذت روحية تتمايل يمينا ويسارا لعدة ثوان بشكل مربك ثم خلعت الشال لتظهر رأسها المُحطم ووجهها المُشوَّه وهي تقول : رئيسة تريد أن تنتقم، تريد أن تعيد ما حدث معها فى الماضى وتسبب فى موتها، تلك المرة ستحرق هى الملجأ ويموت الاطفال جميعا وتبقى هى لتتحرر من غضبها.

صمتت قليلا ثم قالت أحضروا لى طشت وبه ماء بارد وبعض من الملح وسأريكم ما حدث، تحرك كل منهم فى اتجاه ليحضروا ما تريده روحية وعادوا سريعا، جلست بالقرب من الطشت و ألقت به بعض الملح ثم وضعت يدها داخل الماء البارد وأخذت تتفوه ببعض الكلمات الغير مفهومة ثم رفعت يدها خارج المياه محدثة تموج بها، اتسعت اعينهم من العجب، بدأ يظهر بداخل الطشت وعلى سطح الماء صورة واضحة لمكان ما ممتلئ بالأطفال، كأنها شاشة تلفاز تنقل فيلم قديم، تبينوا فور رؤيته أنه الملجأ العباسي، مبنى يحتل مساحة كبيرة من الأرض مكون من عدة طوابق، طراز

قديم لكنه مليء بالفن والإبداع، فى الطابق السفلي هناك ساحة كبيرة معلق على أحد حوائطها صورة ضخمة تضم أفراد الملجأ، مدير الملجأ وهو يرتدى زي رسمي يعود لآن ذاك وهو بدلة سوداء وطربوش أحمر ومن جانبه عدد من الأفراد المساعدين له ومن أمامهم تقف عدة سيدات يعملن كمربيات لليتامى ومن ضمنهم كانت تقف رئيسة ببسمتها الساحرة وعينيها المميزتين، ثم انتقلت الصورة لتنقل عدد كبير من الاطفال وهم يلعبون داخل حجرة ما وهناك فى أحد أركان الغرفة طفلة تجلس وحيدة ويبدو عليها الحزن والأسى ممسكة بمنديل ما تمسك به بشدة وتستنشق رائحته بين الحين والآخر، تتساقط دموعها كلما نظرت إلى يديها لتظهر بعض الحروق عليها، طفلة لم تتخطى العشر سنوات تحمل أطنانا من الاسرار والحزن.

دخلت رئيسة إلى الغرفة فخرج جميع الأطفال من الغرفة وهم يهرولون فى فزع بينما جلست الطفلة أرضا وقد بدأت فى الارتعاش، حاولت إخفاء المنديل لكن بعد فوات الاوان فقد رأته رئيسة، اتجهت إلى الطفلة ثم صفعتها بقوة فهطلت دموع الفتاة وبدأت بالأنين، أمسكت بها ومزقت ثيابها وحصلت على المنديل، أمسكت به وأشعلت عود ثقاب ثم حرقت ذلك المنديل أمام ناظر الفتاة التى صرخت بها وهى تقول: سأحرقك، أقسم أنى سأحرقك ما إن انتهت الفتاة من

الحديث حتى نالت عدة صفعات وركلات أدمت وجهها الفتاة وتركتها ملقاة أرضا تبكى وترمق رئيسة فى غل وهى تغادر الغرفة وتغلق الباب خلفها فى قوة.

زحفت تلك الطلفة في اتجاه ذلك الرفات المتبقى من حرق المنديل ثم أخذت تدهن به جسدها فى أسى، وقفت عدلت من ملابسها الممزقة قدر الإمكان ثم كفت عن البكاء واتجهت إلى فراشها و نامت فوقه ضامة قدميها فى اتجاه صدرها فى وضع الجنين وهى تقول بصوت مسموع: سأحرقك، سأحرق رئيسة، أقسم أنى سأحرقك.

تموجت المياة من جديد وعادت لتستقر فظهرت رئيسة وهى تجلس داخل مكان مظلم ضيق، تمسك بطائر ما ثم تقوم بذبحه و تجعل الدماء تسيل داخل إناء صغير ثم تفصل الرقبة عن الجسد بطريقة قاسية للغاية وتلقى بالطائر جانبا، تمسك ريشة وتغمس طرفها بالدماء ثم تحضر قطعة من قماش وتبدأ برسم نجمة سداسية عليها بالدماء، تغمس طرف الريشة مرة اخرى فى الدماء ثم تكمل رسم بعض الاشياء الغريبة وتكتب عدة حروف اخرى تصعب قراءتها، تنتهى مما تفعله وتبدأ فى لم قطعة القماش وتطبيقها على شكل مثلث وتغلقه بدبوس صغير، تقبل الخاتم ثم تخلعه وتضعه حول رقبتها عن طريق عقد ما تخفيه تحت جلبابها،

تخرج من ذلك المكان المظلم عبر باب يقود إلى أعلى، تتحرك عبر الرواق الرئيسى للملجأ ثم تفتح باب الملجأ وتعطى ذلك الشيء لإمرأة تقف فى انتظارها بالخارج، تنظر يمينا ويسارا ثم تخرج بعض النقود وتعطيها إلى رئيسة التى تبتسم وتغلق الباب ثم تصعد إلى الدور العلوي من الملجأ.

تموجت المياة من جديد وعادت لتظهر أحد الضباط وهو يجلس فى مكتب مدير الملجأ وبحضور كل العاملين بملجأ العباسى بمن فيهم رئيسة، بدا على وجه الضابط الارتياب وهو يحقق فى أمر ما وهو يقول: هذه هى المرة الثانية التى تختفي فيها فتاة من ذلك الملجأ، فى العام الماضى وفى نفس التاريخ اختفت إحداهن، الأمر ليس مصادفة، أريد أن أعلم ما الذى يحدث هنا قبل أن أحيلكم جميعا إلى التحقيق ثم إلى حبل المشنقة.

ابتسم مدير الملجأ ببرود غريب وقال: هذا ملجأ يا حضرة الضابط وليس مدرسة، نحن نعمل هنا بأقصى جهد مبذول ومع ذلك يستمر هروب الفتيات من الملجأ حتى الحارس ليس لديه تفسير عن كيفية خروجهم من الملجأ من دون أن يراهم فهو يظل ساهرا طوال الليل وينام آناء النهار.

وقف الضابط وأمر عساكره أن يفتشوا الملجأ جيدا باحثين عن أى شيء مريب وهو يقول: فتشوا كل مكان، حاولوا

أن تعثروا عن أى دليل يقودنا إلى الفتاة المفقودة، أى خيط يقودنا إليها، أسرعوا.

هرول العساكر فى كل مكان وأخذوا يبحثون فى كل الطوابق العلوية ثم ذهب أحدهم إلى البدروم وقبل أن يهبط السلالم وجد شيئا ما يقف فى الظلام وقد برقت عيناه بلون البرق، فزع وعاد إلى بقية العساكر دون أن يتفوه بجمله واحدة.

انتهوا من البحث من دون جدوى، مسح الضابط على وجهه وهو يقول: إن تبين أن لأحدكم علاقة في اختفاء الطفلة الأولى أو الثانية سأحرص بنفسي على أن تشنقوا.

تركهم وهو مازال صدره ممتليء بالشك أن أحد أفراد العمل فى الملجأ خلف اختفاء الفتاتين، خرج من الملجأ ونظر إلى أعلى ليجد إحدى الفتيات لديها بعض الجروح فى وجهها وهى تلوح له مودعة من دون أن تبتسم، شعر بالعجز ثم غادر هو وعساكره.

شهقت روحية وقد تصبب العرق من جبينها وهى تقول: ما ستروه الآن هو سبب الغل فى قلب وصدر رئيسة وبه الحل أيضا، أمعنوا النظر وتأهبوا للقائها.

تموجت المياة سريعا وقد بدت وكأنها تغلي، ظهرت

صورة لرئيسة وهى تقف داخل البدروم وتضع جسد طفلة صغيرة بجانب رأسها داخل حفرة ما صنعتها داخل البدروم وهناك فى الظلام يقف كيان اسود ينظر لها بعينين تلمعان فى الظلام، بدأت بردم الحفرة فوق جسد الفتاة المسكينة التى ماتت ذبحا وبعدها تم فصل رأسها عن جسدها، أنهت ما فعلته ثم قبلت الخاتم وخلعته من يدها ليختفى ذلك الكيان وضعت الخاتم حول رقبتها عن طريق السلسلة وهى تقول: أوفيت بعهدي معك، قربان كل عام ولي القوة والقدرة والسلطان .

خرجت من البدروم وعلى ملامحها الغضب غير المبرر، صعدت إلى غرفة تلك الطفلة التى أقسمت على حرقها، فتحت الباب ودلفت إلى الغرفة ثم أغلقته خلفها فى قوة فانتفض جسد تلك الفتاة، هجمت عليها كوحش مفترس وأخذت تصفعها وتركلها حتى تكومت تلك الفتاة أرضا وهى تقول: افعل ما شئت سأحرقك، أقسم أني سأحرقك.

اتسعت عينا رئيسة وهى تقول: ستحرقيننى ؟ حسنا، لنرى مدى الألم، النار لا يضاهيها أى ألم .

أنهت كلماتها وأحضرت عود ثقاب وأشعلت شمعة ثم تركتها لثوان معدودة، أحضرت حبل و قيدت الفتاة بعد أن مزقت ملابسها ثم أمسكت بالشمعة واقتربت بها من جسد

الفتاة ثم اخذت تصب الشمع شديد الحرارة على ظهر الفتاة التى بدأت فى الصراخ، مع ارتفاع صراخ الفتاة طرق الباب بشدة، لم تكترث رئيسة لذلك الطرق، كممت فاه الفتاة ثم أطفأت نار الشمعة فى جسدها، انهمرت الدموع بكثرة من عيني الفتاة وأصدرت صوتا مكتوما بين أنامل رئيسة التى ابتسمت بغل ثم تركتها وفتحت الباب ليظهر من خلفه مربية اخرى تعمل فى الملجأ نظرت إلى الفتاة فى رعب ثم نهرت رئيسة قائلة: أليس لديك قلب، إنها فتاة صغيرة لا ذنب لها، ما الذى فعلته لتحرقين جسدها وتعذبينها بتلك القسوة.

نظرت لها رئيسة بحدة فوقع الرعب بقلب المربية وهى تقول: إنها تشبه أحد ما أمقته بشدة، إنها تشبه تلك الفتاة التى أفشت سري إلى أهل القرية فاضطررت إلى الهرب.

أنهت كلماتها ثم خرجت من الغرفة تاركة خلفها المربية وهى تحاول تطبيب الفتاة، التى ارتفع صوتها بكلمة واحدة: سأحرقك، سأحرقك أيتها الشيطانة.

انتقلت الصورة سريعا لترصد القمر يحتل مكانته فى السماء، بجسد متألم وملابس بالية و أقدام حافية خرجت من غرفتها بهدوء و حذر، خطت خطوات مترددة فى إتجاه مطبخ مظلم بحثت عن شيء ما حتى وجدته بيد مرتعشة أمسكت (جركن) جاز وعلبة ثقاب، وضعت يدها موضع

الألم فازدادت إصرارا على تنفيذ وعيدها لرئيسة، حملتهما وتحركت بهما ببطء هبوطا من أعلى سلالم قديمة متهالكة، وصوت انفاسها يتعالى مختلطا ببكاء مكتوم، وصلت إلى باب غرفة منعزلة، فتحته فأصدر أزيزا مرهقا للسمع، تلك الفجوة سمحت للضوء أن يعبر ويكشف ظلام الغرفة فظهر جسد رئيسة وهى نائمة فوق فراشها بهدوء قاتل، فتحت الفتاة جركن الجاز وجعلت السائل الذى يعشق النيران ينتشر بكل الغرفة، رأت ذلك الخاتم موضوع أعلى كومود بجانب الفراش، تحركت نحوه وأمسكت به، سكبت ذلك السائل على الفراش حتى تأكدت ان القطن تشربه بالكامل واصبحت رئيسة محاصرة الان، ابتعدت عدة خطوات واشعلت عود ثقاب ثم ألقت ما تبقى من الجاز فوق جسد رئيسة التى أفاقت مفزوعة، بحثت عن الخاتم فلم تجده، نظرت إلى الفتاة ثم تحسست الفراش فعلمت أنها هالكة لا محالة، ألقت الفتاة عود الثقاب أرضا لتلتهم النيران كل ما تقابله فى طريقها حتى وصلت إلى رئيسة التى صرخت فور التهام النار لجسدها، هرولت فى اتجاه الفتاة التى هربت على الفور وتبعتها رئيسة وهى تصرخ ألما وتنادى على اسم أحد ما يبدو أنه الخادم الذى ظهر فى أحد اركان الغرفة ينظر لها من دون حراك، رأته وهو لا يحرك ساكنا فعلمت أنها النهاية، قررت أن تحرق معها الجميع، تحملت ألم النيران من الداخل

والخارج وهبطت السلالم عدوا حتى وصلت إلى باب الملجأ واغلقته من الداخل، أمسكت بالستائر والمفروشات وفى لحظات معدودة كان الملجأ بالكامل مشتعلا ويتعالى من داخله صوت صراخ الأطفال والكبار ومعهم صوت رئيسة.

تموجت تلك المياه للمرة الاخيرة لتعود إلى طبيعتها ولكن أصبحت مليئة بالشوائب السوداء، عادت روحية إلى الخلف قليلا وهى ترتعش ثم مالت على جنبها الأيسر وفقدت الوعى تماما.

***

حل الليل وظلت زينب بجانب روحية داخل إحدى الغرف لمعاونتها في إحضار الماء والطعام بعد أن استعادت وعيها ولكن يبدو عليها التعب والإرهاق الشديد بينما افترش موسى ورأفت الأرض وناما وظل عمران ساهرا طوال الليل يفكر فى مصير ابنته المخيف، يخشى عليها أن تحرق بنار رئيسة من دون ذنب، هى لم تقترف شيئا وكذلك هو، لقد عاش عمره كله يحرص على سلامة الآخرين، يعيش فى خطر دائم من أجل الحفاظ على حياة الجميع، يسهر ليلا وينام نهارا، يهمل بيته ويودعهم في كل يوم وهو يخشى ألا يراهم من جديد، لكنه لم يندم يوما على فعل الخير لذلك هو يأمل أن تعود إليه ابنته من دون أن تمس بشر و لتحرق النار

رئيسة وحدها وتأكل جدرانها من الداخل قبل الخارج ولا تترك خلفها رمادا.

في الصباح وبعد أن أفاق الجميع بعد ليلة عصيبة مرت ما بين كوابيس و توجس ورجاء، تأهبوا جميعا للبحث عن مكان ذلك الملجأ وقبل أن يخرجوا إلى الشارع وقفت روحية وأشارت لهم أن ينتظروا وهى تقول: أنا أرى أطفا كثيرين محبوسين داخل منزل ما يطل على البحر مباشرة فى منطقة معزولة وأرى رئيسة تقف أمام هذا الباب تنظر إلى الشمس وتنتظر غروبها، انتظروا هناك شيء آخر، لا.. لا، ليس لدينا متسع من الوقت، رئيسة ستشعل النار فى ذلك المنزل وفى هؤلاء الأطفال اليوم لأن ذلك اليوم هو نفس اليوم الذى اشتعل فيه الملجأ وماتت هى محترقة بداخله، يجب أن نصل لها قبل غروب الشمس وإلا سيموت هؤلاء الأطفال.

بعد أن سمعوا تلك الكلمات من روحية وعلموا أن الوقت ليس فى صالحهم، هبطوا مسرعين إلى الشارع أوقفوا سيارة أجرة واتبعوا التطبيق الخاص بالخرائط، ظلوا يتتبعون خط السير حتى وصلوا إلى مكان منعزل غير مأهول بالسكان، فقط البحر من أمامهم والرمال من حولهم فى كل مكان.

قبل أن يرحل سائق السيارة سأله عمران: بعد إذنك، هل تعلم مكان الملجأ العباسى ؟ نحن نبحث عنه لغرض هام.

وضع الرجل يده على فمه يحاول أن يتذكر ثم قال: لقد أخبرنى جدي ذات مرة أنه يقع بالقرب من هنا لكنه الآن غير موجود لأنه تهدم بعد الحريق الذى حدث به وبنيت فيلا على الطراز اليوناني بعد أن اشترى الأرض رجل من أصول يونانية وعاش به هو ابنته، لكنه فجأة و من دون مناسبة احترق هو الآخر وابنته فأصبحت الفيلا غير مأهولة بالسكان من وقتها.

أنهى كلماته ثم نظر إلى مبنى بعيد يطل وحيدا بين الصحراء وقال: أعتقد أن هذا المبنى هو ما تبحثون عنه ولكن احترسوا فالجميع يتناقل أخباره بأنه مسكون ب... بالمردة والشياطين.

شكره عمران وتحرك الرجل بسيارته مودعا بعد ان أخذ أجرته، توجه الجميع إلى الطريق المؤدي ذلك المبنى وقد بدأ موسى برؤية كيان ما أسود يسبقهم و يتحرك فى اتجاه الفيلا فقال: رئيسة تعلم الآن أننا هنا، لقد رأيت خادمها يتحرك في اتجاه تلك الفيلا.

لم يكن ليمنعهم أحد سواء أكان إنس أو حتى مردة الجان، إنها حرب وبها الخسائر أمر طبيعى ولكن اليوم لن تكون الخسائر فى الاطفال، سيخرجون على قيد الحياة وإن كلفهم الأمر أرواحهم.

(6)

قال وليام شكسبير فى مقولة شهيرة له: الجحيم فارغ وكل الشياطين هنا! يبدو أنه كان يرى الحقيقة من منظور آخر، لم يقصد فقط شياطين الإنس ولكنه كان يرمي أيضا إلى شياطين الجن ورئيسة كليهما.

***

اقترب وقت الغروب والشمس أوشكت على الرحيل، وصلوا أمام الفيلا وقد شعروا جميعا بالخوف والفزع، إنها فيلا على الطراز القديم، مهجورة، منعزلة وبعيدة عن العمران، صوت أمواج البحر وهى تتلاطم والنسمة المنبعثة من قبل اليم أضفت جو من السحر والرهبة.

دار رأفت وموسى حول الفيلا ولم يجدا مدخلا، هناك حوائط مبنية من الاتجاهات الأربعة، لا صوت غير صوت السكون وعزيف الرياح، تعجبوا جميعا وقالت زينب وقد بدا عليها الخوف: يبدو أنه ليس المكان الصحيح، إن ذلك السائق كان يهذي، ليس هناك مدخلا وليس هناك صوت لأى طفلة، كيف سندخل إلى تلك الفيلا، إنها مهجورة بدون شك.

قالت روحية: لا إنه المكان الصحيح، إنهم هنا، أنا اشعر بذلك فى اعماقى.

قالت زينب: ولكننا لا نرى أو نسمع شيء، لنتحرك قبل أن ينفد الوقت منا.

وافقها الجميع وكادوا أن يبحثوا فى مكان اخر لولا أن قال عمران وهو يلتفت إلى الفيلا: أنا أسمع صوت ابنتي، إنها بالداخل، الأطفال بالداخل.

اقترب موسى من الجدار وقال: لكنى لا أسمع أى صوت، انا لا أرى غير جدار ولا أسمع شيئا، هل يسمع أحدكم صوت أحد.

أومأ الجميع بالرفض لكن روحية اقتربت من الجدار وهى تقول: الأطفال بالداخل، رئيسة استخدمت خادمها في إخفاء المدخل، انتظروا قليلا، لدينا متسع من الوقت، سأحاول أن أبطل سحرها.

جلست روحية أرضا وبدأت فى التمتمة فبدأت دوامات من الرياح والرمال تلتف حول البيت بشكل منتظم، اقترب عمران من ذلك الجدار وحاول لمسه فوجد أنه ليس له وجود بل هو وهم أصاب عيونهم، لحظات واختفى ذلك الجدار الوهمى وظهر مكانة باب كبير الحجم، تعجل عمران واتجه إلى ذلك الباب مسرعا، يريد أن يستعيد ابنته، دفع الباب بقدمه ليجد رئيسة تقف خلفه مباشرة بوجه أسود وجسد محترق تماما وهى ممسكة بسكين حاد تلوح به في اتجاه

عمران، كاد نصل السكين أن يخترق رقبة عمران لولا أن جذبته روحية بسرعة و تمتمت بكلمات فى وجه رئيسة لغلق الباب بقوة كبيرة يتحطم لها زجاج النوافذ.

وقع عمران وروحية أرضا وأخذ يتحسس رقبته ليجد بها بعض الدماء نتجية جرح بسيط ما نتج عن مرور النصل الحاد، نظر إلى روحية التى جلست ارضا وقالت: وقت الغروب قد حل وليس لديكم متسع من الوقت، أنا سأعيق حركتهم بالداخل لذلك سأنتظركم هنا ولكن عليكم أن تذكروا، لن تستطيعوا التغلب على رئيسة إلا بعد ان تنتزعوا منها الخاتم، ويجب أن تقتل بنفس الطريقة التى قتلت بها فى الماضى حتى تفتح لكم البوابة، لن يكون الأمر سهلا ولن يمر من دون خسائر، تكاتفوا سويا وأنقذوا الاطفال أولا واتركوا عمران يأخذهم إلى الخارج وتولوا أنتم أمر رئيسة، لا تخرجوا قبل أن تعيدوها إلى جحيمها أو... أو لن تخرجوا أبدا.

اندفع الاربعة إلى داخل الفيلا وقبل أن يدخل موسى أمسكت به روحية وهى تقول: لا تفسد الأمر رجاءا، انت تعلم أننى أعلم، لا تفقد السيطرة بالداخل وعد بهم سالمين، أنت حقا تمتلك أكثر مما تتخيل يا أبو المكارم.

ضغط موسى على يد روحية بحنان وقال: اطمئنى لن

أخذلهم اليوم، سنعود جميعا سالمين وسنرسل رئيسة إلى جحيمها، لا تقلق أنا أشعر أن النهاية باتت قريبة.

أنهى كلماته ودلف إلى الداخل ليلحق بالبقية، أخرج رأفت من حقيبته حبل طويل وسميك وهو يقول: يجب أن نبقى سويا مهما كلف الامر، نحن لا نعلم ماذا تخبأ لنا رئيسة من ألاعيب و مكائد، اربطوا ذلك الحبل حول صدوركم حتى نبقى مربوطين ببعضنا البعض.

أخذ كل منهم يلف الحبل حول صدره وخصره وساروا خلف بعضهم فى طابور، كان فى بدايته عمران ومن بعده رأفت ثم زينب وفى النهاية موسى الذى أخذ يقلب عينيه فى كل مكان داخل تلك الفيلا ويرى بين الحين والاخر تحرك ذلك الكيان حولهم عبورا بالحوائط والأسقف.

صعدوا إلى الطابق العلوى من الفيلا وبحثوا فى جميع الغرف ولكنهم لم يعثروا على أحد ولم يسمعوا صراخ أو بكاء أي طفل، أكملوا بحث داخل دورة المياه ثم المطبخ العلوى وباءت محاولتهم بالفشل، قرروا أن يهبطوا إلى الدور السفلى، تحركوا نزولا على تلك السلالم المهترئة التى تصدر أنينا كلما خطى احدهم خطوة فوقها، تعثرت زينب ووقعت أرضا ليلحق بها موسى من خلفها، اطمأن عليها رأفت وهو يقول: خذوا حذركم فنحن لا نعلم متى تباغتنا رئيسة أو

يباغتنا خادمها.

غرفة تلو اخرى من دون نتيجة تشفى خوف عمران على ابنته وقلق رأفت وصديقيه، شعروا أن هناك حركة ما أمامهم ورأى عمران رئيسة أمام ناظره بعرض الصالة الرئيسية فقال: توقفوا، إنها أمامنا، استعدوا جيدا لما هو قادم.

وقف الأربعة على هيئة صف بجانب بعضهم البعض ينظرون في اتجاه الظلام، سمعوا صوت غريب تبين بعدها أنه يعود إلى حيوانين أشبه بالذئاب لكنهما لا ينتميان إلى عالمنا أبدا، ذئبان بعينين حمراوين و جسد يتصاعد منه الدخان، تحركا إلى الامام ليخرجا من بين ثنايا الظلام وتظهر من خلفهما رئيسة واضعة يديها الإثنتين عليهما، ظهرت على هيأة أنثى جميلة، ترتدى عباءة سوداء لامعة وشعرها الأشبه بالحرير ينسدل على كتفيها راسمة ابتسامة خلابة، مرسوم على إحدى يديها رسومات غريبة والأخرى ترتدى الخاتم، ضربت الذئبين بترو فى اشارة منها ليهجموا الآن .

تحرك الذئبان في اتجاه الأربعة مصدرين عواء مخيف، ملأ الرعب صدورهم، ألقى موسى عينيه خارج النافذة ليرى آخر شعاع للشمس وهو يغوص فى المياه، ثم عاد لينظر إلى رئيسة فوجدها تهبط سلالم تقود إلى غرفة تأكد أنها المقصودة وأن رئيسة الآن فى طريقها إلى الأطفال من أجل

قتلهم حرقا فقال: لا يوجد وقت أمامنا الآن، يجب أن نتجاوز الذئبين بأي ثمن .

أنهى تلك الكلمات وفك وثاقه وأخذ يلفت انتباه الذئبين ويأخذهم فى طريق آخر بعيد عن الثلاثة الآخرين، تبعته الذئاب إلى أعلى السلالم فارتفع صوته وهو يقول: اذهبوا الآن، انقذوا هؤلاء الأبرياء وأنا سألحق بكم.

نظر له رأفت نظرة خوف ثم هرول إلى تلك السلالم وتبعه عمران و زينب، هبطوا السلالم بسرعة فوجدوا بابا موصدا سمعوا من خلفة صراخ الأطفال، أزاح عمران رأفت من طريقه وأخذ يركل الباب بكل قوة حتى بدأ يتحطم ويظهر من بين الأخشاب أوجه الاطفال المذعورين ومن بينهم ابنته التى صرخت منادية عليه عندما رأته، ازداد اصراره وأخذ يركل الباب أقوى حتى انخلع من مكانه.

حرر الثلاثة أنفسهم من الحبل الملتف حول صدورهم ووقفوا فى مواجهة رئيسة ومن خلفها الأطفال يبكون، ابتسمت وأمسكت بابنة عمران ووضعت على رقبتها السكين ونظرت إليه بتحدي.

حاول عمران أن يتمالك أعصابه لكن هناك دمعة ما خانته وسقطت سهوا فأصدرت رئيسة ضحكة مدوية وهى تقول: رجل صعيدى يبكى، أرأيت والدك وهو يبكى يا صغيرتى،

أرجوك تصرف كالرجال حتى تموت رجلا واقفا على قدميك، أنت لا تعلم معنى الألم، لا تعلم معنى الخوف ولا تعلم معنى الخذلان، أنا اعلم معنى الألم عندما احترقت و أعلم معنى الخوف عندما رحلت إلى العالم الآخر وأعلم معنى الخذلان عندما تخلى عني الجميع، أما أنتم فلا تعلمون أى شيء، أنتم مجموعة من الفضوليين لا تعلمون أن الفضول قاتل، كنتم تعتقدون أنها مزحة ففتحت عليكم أبواب الجحيم، أنا لست أول العابرين ولن أكون آخرهم لكننى لن أرحل بسلام، لن أرحل دون أن آخذ أحدكم معى إلى الجحيم وهناك ستعلمون معنى الألم والخوف والخذلان.

أحكمت قبضتها على السكين وقبل أن تمررها على عنق الطفلة الصغيرة هبط موسى إلى الغرفة مسرعا وهو يقول: انتظري، انتظري رجاء، إن أردت أن تصحب أحدا معك إلى الجحيم فأنا اوافق.

دفعه رأفت بقوة وهو يقول: لا لن يذهب أحد معها، ستعود وحدها إلى الجحيم، ما الذى تقوله، اصمت يا موسى.

أمسك موسى بيد رأفت وتخطى الجميع ليصبح مواجها لرئيسة وهو يقول: اترك الفتاة و سأكون أنا مكانها، أعتقد أنها صفقة راجحة بالنسبة إليك، أنت تعلمين أنني صيد ثمين، لقد رأيت ذلك بنفسك.

اتسعت بسمة رئيسة ثم ألقت بالطفلة إلى أحضان والدها وأشارت إلى موسى أن يتقدم نحوها ففعل، أمسكت به ووضع السكين على رقبته وهى تقول: أنت أو هي لا يهم فخلال دقائق سأقتلكم جميعا وبالأخص أنت يا أبو المكارم، سأذبحك وأنت تحترق ثم أشعل النار بالجميع وفى النهاية سأقتلك كما وعدتك.

أنهت كلماتها وأشارت بالسكين فى وجه عمران الذى بادلها النظرة بتحدى واضح، صمت الجميع فى انتظار ما ستؤول إليه الأمور وقطع صمتهم صوت غليظ أتى من خلفهم ليلتفتوا جميعا إلى مصدر الصوت ليجدوا كيان أسود قاتم بعينين حمراوين يسد طريق الخروج ويقف مكان الباب وهو يقول: حان الوقت، احرقى الجميع لتتحرر روحك و تقدمى قرابينك وتكتسبى جسد جديد، أنه ما عدتي من أجله، إما الآن وإما لا للأبد.

تعالت صرختها وبدأت تتمتم ببعض الكلمات، دفعها موسى عنه ثم تخطاها ووقف امام الاطفال، اشتعل جسد ذلك الكيان الاسود بالكامل ودخل بخطوات ثقيلة ثابتة إلى الغرفة ليطبق عليهم ويمنع أيا منهم من الهروب، بدأت النيران تشتعل فى كل مكان تعالت صرخات الاطفال، إنها النهاية ولا مفر منها، سيموت الجميع حرقا من دون ذنب.

أصبحت رئيسة من خلفهم وذلك الكيان من أمامهم وقبل أن يصل إليهم بدأت تخمد النيران وبدأ يقل حجمه ويضعف ودوى صوت روحية وهى تمتم ببعض الكلمات غير المفهومة لرافت ومن معه لكنها تؤثر بذلك الكيان كثيرا وتضعف قواه، ارتفع صوت رئيسة وهى تمرر يدها على الخاتم ليشتعل جسد ذلك الكيان من جديد، أصبح صوت الإثنين يصم الآذان فوضع الجميع أصابعهم في آذانهم واحتضن عمران ابنته بين ضلوعه.

سقطت الدماء من أنف روحية وخارت قواها، لقد تغلبت عيها رئيسة وسوف تقضى على الجميع، قبل أن يصل ذلك الكيان إلى جسد رأفت الذى وقف مستسلما ظهرت تلك الطفلة الصغيرة التى أشعلت النار برئيسة مسبقا انتقاما منها وتحركت من بين الاطفال ثم سحبت الخاتم من اصبع رئيسة وألقت به إلى رأفت، وقف الكيان ثابتا كصنم اشتعلت به النيران، ثم بدأ يتراجع إلى الخلف وتخفت ناره ثم تلاشى و كأنه لم يكن موجودا قط.

صرخت رئيسة وأمسكت بالفتاة، ارتفع صوت موسى وهو يقول: الآن يا عمران، خذ جميع الأطفال وأخرجهم من هنا الآن، هذه فرصتنا الوحيدة.

أخذ عمران يخرج طفلا تلو الآخر وطفلة تلو الأخرى فى

اتجاه روحية التى قادتهم إلى الخارج ، نظرت رئيسة إلى هؤلاء الاطفال وهم يغادرون ثم صرخت بشدة، وضعت يدها على اصبعها فلم تجد الخاتم، علمت أنها فى طريقها إلى الهلاك من جديد، ففى المرة الأولى ماتت حين فقدت الخاتم والآن ستعود إلى الموت بنفس السبب.

وجدت زينب جركن يحوى بعض السوائل، أمسكت به بسرعة واشتمت رائحته لتتعرف عليه، إنه جاز، تذكرت كلمات روحية أنه يتوجب عليهم أن يقتلوها بنفس الطريقة حتى تفتح البوابة من جديد فقالت بصوت مسموع: افسحوا، أنا سأكتب كلمة النهاية فى قصة رئيسة.

نظر الإثنان إلى ما تمسك به زينب فوقفا خلفها، ألقت زينب الجاز على رئيسة وأخرج رأفت قداحة من جيب بنطاله لا يعلم حقا لما يصحبها معه فى كل مكان وهو غير مدخن لكن يبدو ان للقدر طرقه وأساليبه المبهرة، تحجرت رئيسة فى مكانها وابتعدت عنها تلك الطفلة التى نالت صفعا كثيرا ثم اتجهت لتقف جانبا، أشعل رأفت النار ونظر إلى رئيسة التى ظهرت عليها معالم الخوف لأول مرة منذ مدة طويلة، أشارت له ألا يفعل وهى لا تقدر على الكلام، قطرات الجاز تتساقط من وجهها مخالطة للدموع، ابتسم رأفت وألقى القداحة المشتعلة علي جسد رئيسة لتشتعل فيها النيران وتصدر

صرخة عالية اهتزت لها أركان البيت.

عادوا جميعا إلى الخلف ولم تتحرك رئيسة من مكانها بل ظلت واقفة تصرخ وتلوح بيدها وهى تنظر لهم بغل من خلف ألسنة اللهب.

فجأة.. وأمام أعين الثلاثة بدأ جزء من الفراغ يتحوَّل لشيء يُشبِه كُرة مُفرَّغة بداخلها ما يُشبه شرارات زرقاء تُشبه الكهرباء، و من خلفها تظهر ومضات من جحيم لا يرغب أحد في رؤيته ابدأ لكنهم اعتادوا الامر فها هو مرة اخرى يحدث، ويبدو أنه سيستمر طوال حيواتهم، بدأت روح رئيسة تنجذِب داخِل هذه الكرة، اخذت زينب نفسا عميقا ثم زفرته فى أريحية وهي تقول: ها نحن مجددا ننجح فى اصلاح خطأنا الدائم

ابتلعت تلك الكرة روح رئيسة بالكامل وآخر ما رأوا هو وجهها القبيح قاتم السواد، الكرة تحوَّلت لما يُشبه الثقب الأسود، بدأت بجذب كُل الموجودات من حولها بقوة بداخلها، صرخت تلك الطفلة بفزع وهي تبتعِد لتقف خلف الكُرة في محاولة ساذِجة للهروب من قوة الجذب القوية تلك، امتدت من داخل الكرة يد محترقة تعود إلى رئيسة وأمسكت بالفتاة وأخذتها إلى الداخل، حاول رأفت ان يمسك بها لكن يده عبرت من يديها كأنها سراب، شعر بالأسى وبعد لحظات

بدأت تلك الفجوة بالانكماش فقال موسى: ستُغلق تلقائيًا حين تعود الروح إلى مكانها ، هكذا يحدث دائما، هكذا تنتهى الأمور لمرة اخرى.

سمعوا الثلاثة صوت صراخ رئيسة وبكاء الطفلة لآخر مرة قبل أن تغلق تلك الفجوة وتبتلع نفسها كثقب أسود حتى اختفت تماما، استند موسى على كتف رأفت وجلست زينب أرضا تمسح عرقها المتصبب ثم عادت إليها بسمتها أخيرا وهى تقول: أريد أن أقطع علاقتى بكم و إلى الأبد، أنا أكرهكم حقا.

ارتفع صوت الثلاثة بالضحكات، عندما وصلوا إلى باب الفيلا وجدوا روحية تجلس أرضا و يحيط بها الأطفال بينما يحمل عمران ابنته وهو يبتسم بطمأنينة وينظر إليهم نظرة شكر وعرفان قابلوها بمثلها.

أخرج رأفت هاتفه الجوال وقال: سأتصل بالشرطة وأبلغهم بمكان الاطفال حتى يعيدوهم إلى أسرهم، لابد أنهم يموتون فى كل لحظة ألف مرة و سنكون نحن قريبين منهم حتى تصل الشرطة وتصحبهم معها.

فى تلك الاثناء قالت روحية موجهة كلامها إلى الاطفال: هل علم كل منكم ما سيقوله إلى ابيه وامه.

رد الاطفال فى صوت واحد نعم يا جدة روحية.

ابتسمت لهم وأشارت إلى موسى كى يساعدها فى الوقوف فتحرك نحوها مسرعا وأوقفها، مالت على أذنه وهى تقول: لا تقلق سرك معى فى أمان، و دائما سيكون إلا إن أردت أنت أن أفشيه.

ابتسم لها بود وشكرها، حضرت الشرطة ومعها أسر هؤلاء الاطفال، احتضن كل أب وأم فلذة كبدهما فى شوق وعندما رحلوا جميعا ارتاح ضمير رأفت ومن معه.

فى الصباح كانوا جميعا داخل سيارة تقلهم إلى القاهرة، سمعوا صوت روحية وهى تنازع، إنها تحلم، لا بل هى فى كابوس لا تستطيع الخروج منه، حاولت زينب إيقاظها لكن دون جدوى، وفجأة أفاقت من نومها وهى تقول: عملنا لم ينته.. لقد بدأت متاعبنا من جديد، هناك باب اخر سيفتح قريبا، استعدوا جيدا فالقادم سيكون أشد وطأة.

تمت بحمد الله...